أفاويق التورية

حِليةُ الكلام ومُتعة الأفهام

دكتور
نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

٤١٤.١ / م . ن	**متولي ، نعمان عبد السميع.**
	أفاويق التورية حِلية الكلام ، ومُتعة الأفهام / نعمان عبد السميع متولي
	- ط١.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.
	140 **ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .**
	تدمك : 978 – 977 – 308 – 711 - 1
	١- البلاغة العربية -المعاني.
	أ - العنوان .

رقم الإيداع : ٢٢٠٨١

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتـف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة ق من الآية٣٣ :٣٥)

إهداء

إلى والدي الحبيبين داعيا الله

لهما المغفرة والفوزبالجنة .

الفهرس

مقدمة

فن التورية من فنون البلاغة المفعمة بثراء المعنى وعمق الإيحاء ووفرة الدلالة .

يتناول البحث تعريف التورية وأنواعها وعلاقتها ببعض أنواع البديع التي لها صلة بها كما يتناول البحث أثر التورية في المعنى، بعد عرض نماذج التورية قديما وحديثا.

ويتخذ البحث من المنهج التكاملي أداة لبسط هذه القضية مشفوعا بنماذج مختارة محللة من الشعر العربي مبرزا دور التورية وما لها من عميق الأثر في المعنى ، ومثبتا نتائج الدراسة وماتوصل إليه الباحث إضافة للمراجع والمصادر التي تم الاستعانة بها في تناول موضوع الدراسة .

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه الخير، إنه نعم المعين

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

المحلة الكبرى

فبراير ٢٠١٩م

تمهيد:

البلاغة العربية تعني :حسن البيان وقوّة التّأثير - كما جاء في المعجم الوسيط -، وتعني أيضاً الوصول إلى المعنى بكلام بليغ ويجب فيها مطابقة ومشابهة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

وهي تتكون من ثلاثة علوم : المعاني، والبيان، والبديع تدور جميعها في فلك الأسلوب ونظم الكلام وما يتألف منه وما يضفي عليه من جمال وقوة تأثير ،ويسمه بسمة الحسن والتميز .

والوصول إلى فصاحة الكلام لايكون إلاَّ عن طريق التعلم الواعي والذوق السليم ، لذلك كان درس البلاغة مهمًا وتعلمها ضرورة لكل من المبدع والناقد والمتلقي على حد سواء .

وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري:

"اعلم- علمك الله الخير ودلك عليه وقيضه لك وجعلك من أهله- أن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ- بعد المعرفة بالله جل ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب

الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة " [1]

✍ **يقوم علم البلاغة على أساسين مهمين هما :**

- الذّوق الفطري الرفيع : وهو المرجع الأوّل في الحكم على الفنون الأدبيّة.
- البصيرة الواعية النفّاذة : وهي القدرة على الموازنة والمفاضلة بين الأعمال الأدبية لبناء أحكام يطمئنّ العقل إلى جدارتها وتمييز الخبيث من الطيب ، ورديء الأعمال من جيدها .

ولتعلم البلاغة ودراستها فوائد جمة منها :

- فهم معاني القرآن الكريم الذي هو أساس البلاغة والوقوف على مواطن إعجازه والكشف عن مكنون أسراره .
- القدرة على النطق الصحيح والصياغة الحسنة ، وتمييز الحسن من الرديء .

١- كتاب الصناعتين ص ١ - ٣.

- تنمّيـــة القـــدرة عـــلى اختيـــار الألفـــاظ المناســـبة للموقـــف الذي يتناوله المبدع.
- تنمية قدرة الناقد على تمييز الأساليب جيدها من رديئها وتمكينه من انتقاد النصوص الأدبيّة فضلاً عن تمكين القارىء أو السامع من تذوّق بلاغة القرآن الكريم والحديث الشّريف.

ولأن موضوع الكتاب الرئيس هو تناول التورية فمن اللازم أن نلقي الضوء على علم البديع ومباحثه وعلاقة أنواع البديع بالتورية التي هي موضوع البحث، ولو تحدثنا عن بدايات البديع ونشأته كعلم مستقل، **نستطيع القول أن:**

" أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك المحاولة التي قام بها خليفة عباسي ولي الخلافة يوما وليلة ثم مات مقتولا وقيل مخنوقا سنة ٢٩٦ هجرية ، هذا الخليفة هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد والمولود سنة ٢٤٧ هجرية. لقد كان شاعرا مطبوعا مقتدرًا على الشعر، سهل اللفظ، جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني، مغرماً بالبديع في شعره، وبالإضافة إلى ذلك

كان أديبا بليغا مخالطا للعلماء والأدباء معدودًا من جملتهم، وله بضعة عشر مؤلفا من فنون شتى وصل إلينا منها ديوانه ، وطبقات الشعراء وكتاب البديع " [1].

وعلم البديع من العلوم المهمة في لغتنا العربية والتي لايستغني عنها الكتاب والشعراء ، وعبد الله بن المعتز هو واضع علم البديع كما المسمى (البديع) يفهم ذلك من كتابه الذي ألفه سنة ٢٧٤ للهجرة.

ويبدو أنه ألف هذا الكتاب ردًا على من زعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد الأنصاري وأبا نواس هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم وعن ذلك يقول في مقدمة كتابه:

"قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارا ومسلما

١- علم البديع دكتور عبد العزيز عتيق.

وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه"[1].

ويعتبر ابن المعتز صاحب المحاولة الأولى في الاستقلال بعلم البديع ، وجعله علما مستقلا بذاته وتحديد موضوعاته التي كانت تذكر قبل ذلك في ثنايا الكتب مختلطة بموضوعات علم المعاني وعلم البيان، ويرجع الفضل لابن المعتز في تعريف القراء أن البديع كان موجودا في أشعار الجاهلية وصدر الإسلام، ولكنه كان متناثرا هنا وهناك يأتي عفوا، حتى جاء الشعراء المحدثون من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام وبشار فضمنوا شعرهم البديع ومنهم من أكثر منه بصورة لافتة للنظر كأبي تمام الذي وسمه النقاد بغرامه بالبديع وقصده إليه قصدا حتى لقد أسماه النقاد شاعر الصنعة اللفظية .

١- البديع لابن المعتز ص١ .

كما يرجع الفضل لابن المعتز أنه وضع مصطلحات لأنواع البديع في عصره، وزاد على ذلك قيامه بنقد ما جاء متكلفا معيبا منه وهذا اتجاه علمي يحسب لابن المعتز، ويضعه في منزلة السبق من أقرانه من علماء عصره .

التورية

✍ التورية لغة : هي الإخفاء والستر .

إصطلاحاً: هي أن يذكر المتكلم لفظة لها معنيان معنى قريب غير مراد مصاحب بقرينه تدفعك توهما إليه ومعنى آخر بعيد وهو المراد.

وقد عرفها نقاد الأدب وشيوخه تعريفات متعددة، تختلف في لفظها لكنها تتفق في معنى واحد ، هو أن التورية يراد بها الإخفاء والتمويه .

ومن هذه التعريفات :

✍ تعريف زكي الدين بن أبي الإصبع(٦٥٤هـ)في كتابه: تحرير التحبير، **يقول فيه :**

" التورية وتسمى التوجيه هي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله"[١].

١- تحرير التحبير ، زكي الدين بن أبي الإصبع.

✍ أما ضياء الدين بن الأثير فقد حدد التورية بأن: " يذكر معنى من المعاني له مثل شيء آخر ، ونقيض، والنقيض أحسن موقعا ، وألطف مأخذا " ويقصد بالنقيض : المعنى البعيد المورى عنه ، وهو مراد المتكلم [1]- ويعرفها السكاكي بأنها الإيهام

وهو " أن يكون للفظ استعمالان : قريب وبعيد ، فيذكر الإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد"[2].

✍ ويعرفها النويري بقوله :

" هي أن يذكر المتكلم ألفاظا لها معان قريبة وبعيدة فإن سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب ومراد المتكلم البعيد " [3]

✍ ويعرفها العلوي بأنها :

" عبارة عن كل مايفهم منه معنى لايدل عليه ظاهر لفظه ويكون مفهوما عند اللفظ به "[4]

١- المثل السائر لضياء الدين بن الأثير ، ١٩٢/٢.
٢- مفتاح العلوم للسكاكي ، ط١ ، ص٥٣٧.
٣- نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، ط١، ١٠٩/٧.
٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز، للعلوي ، ط١، ٤٢٨.

✍ ويعرفها صفي الدين الحلي تعريفا أكثر انطباقا على التورية بالمصطلح الذي اتفق عليه البلاغيون، يعرفها بقوله:

" أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين : قريب ، وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر بها أن مراده البعيد "[1].

✍ والخطيب القزويني يعرفها بقوله:-

"ومن البديع التورية وتسمى الإيهام أيضا، وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، وهي ضربان مجردة ومرشحة"[2].

✍ ويعرفها صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) في كتابه فض الختام عن التورية والاستخدام بقوله التورية هي أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين، قريب وبعيد، فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد " [3] .

١- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي ، ط١، ص١٣٥.
٢- التلخيص : الخطيب القزويني .
٣- فض الختام عن التورية والاستخدام : صلاح الدين الصفدي.

✍ ويعرفها تقي الدين بن حجة الحموي (٨٣٧هـ) يعرفها في كتابه " خزانة الأدب " قائلاً:

" التورية أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجازا ؛ أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورِّي عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب ، وليس كذلك ، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما"[1].

هذه التعريفات كلها وإن اختلفت لفظا فإنها تتفق في معناها ولا تخرج في مضمونها عن معنى الإخفاء والستر والتمويه على القارىء أو السامع فيظن المعنى القريب للكلمة هو المطلوب لكن المعنى البعيد هو المراد .

قال حافظ إبراهيم مداعبا صديقه أحمد شوقي:

يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي اليوم أصبح باردا؟

كلمة " شوقي" لها معنيان:

١- خزانة الأدب لابن حجة الحموي ٢٣٩ - ٢٤٢ .

معنى قريب غير مقصود: وهو الحب والحنين والقرينة: كلمة الشوق .

معنى بعيد : وهو الشاعر المصري المعروف أحمد شوقي.

وهو المقصود .

مثال آخر:

قال نصير الدين الحمامي :

جــودوا لنســجع بالمــد يــح   عـــلى علاكـــم سرمـــدا

فـــالطير أحســـن مـــا تغـــر د   عنـــدما يقـــع النـــدا

في كلمة " الندى" تورية إذ لها معنيان:

المعنى القريب غير المقصود :

قطرات الماء التي تسقط في الصباح الباكر، والقرينة كلمة (يقع).

المعنى البعيد المقصود: وهو العطاء .

سئل أبـو بكـر –رضي الله عنه –عـن الرسـول– صلى الله عليه وسلم –حـين كـان يرافقـه في الهجرة .

فقال : هادٍ يهديني :في كلمة " هاد " تورية إذ لها معنيان :

المعنى القريب: عير مقصود، هو الهادي إلى الطريق في السفر.

والقرينة:(الهجرة)المعنى البعيد: وهو المقصود، الهادي إلى الإسلام.

يقول الشاعر:

يا عاذلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسلو؟ يمــرُّ بي كــل يــوم وكلــما مــرَّ يحلــو

التورية في كلمة " مرّ " إذ لها معنيان:

-معنــى قريــب وهــو الشــيء مــرّ المــذاق، ويتبــادر هــذا المعنــى إلى الذهن لوجود قرينة(يحلو) وهو غير مقصود.

-معنى بعيد: مأخوذ من المرور وهو المقصود .

وفي مثال آخر :

يقول الشاعر :

وواد حكـى الخنسـاء لاقـى شـجونه ولكن لـه عينـان تبكي علـى صـخر

- التورية في كلمة " صخر " إذ لها معنيان.

الذهن قرينة هي:معنى قريب ليس مقصودا وهو : صخر أخو الخنساء.

ومعنـــى بعيـــد هـــو : الصـــخر " الحجـــارة " وهـــو المقصـــود

مثال آخر :

يقول الشاعر :

أبيـــات شـــعرك كالقصـــور ولا قصـــور بهـــا يعـــوق

ومـن العجائـب لفظهـا حـر ومعناهـــــــا رقيـــــــق

التورية في كلمة "رقيق " إذ لها معنيان .

-معنى قريب : مأخوذ من العبودية ويتبـادر المعنـى إلى الـذهن لوجـود قرينة (حر) وهو غير مقصود.

ومعنى بعيد هو: العذب السهل وهو المقصود :

قال أبو الحسن الجزار:

كيــف لا أشــكر الجــزارة مــا عشـــت وأهجــر الآدابـــا ؟

وبها صارت الكلاب ترجونى وبالشـعر كنـت أرجـو الكلابـا

كان هذا الرجل في البداية شاعرا وأديبا فلم يربح مالا وهجر أصـحاب المصالح الذين لا يعرفونـه إلاَّ وقـت الحاجـة فهجـر الشـعر والأدب وعمـل بالجزارة فربح مالا وفيرا واغتنى فاجتمع حولـه أصـحاب الحاجـات الـذين هجروه وقت أن كان فقيرًا.

فكلمة (الكلاب) لها معنيان: قريب وهو الحيوان المعروف وبعيد وهـو المقصود وهم المنافقون الذين لا يعرفون إلاَّ مصـالحهم وقـد ذكـر مـا يلائـم المعنى القريب بطريق غير مباشر وهو (الجزارة) لأن في الجـزارة العظـم وهـو زاد الكلب.

مثال آخر ، يقول الشاعر :

حماة بها فخر العروبة والندى وبها على العاصي تدور الدوائر

التورية هنا في كلمة : العاصي.

وأول ما يتبادر للذهن العاصي من عصى وبغى وهو غير مطلوب .

والمعنى البعيد هو نهر العاصي ، وهو المراد .

وأعتقد أن هناك تورية في كلمة : الدوائر.

المعنى القريب من الدوائر بمعنى : الخطوب وهو غير مطلوب .

والمعنى البعيد هو : السواقي ، وهو المقصود.

والتورية تقتضي من القارىء الإلمام باللغة وتذوقها ، وإلى لطافة في الحس.. والمورى مجدد لأنه يضع أمام السامع صورا متشابكة من المعاني، مما يدفع السامع إلى إعمال ذهنه ،والتنقل بخياله والتجول بفكره بين صورها الشتى حتى يقع خاطره على المعنى المقصود، دون أن يشعر بثقل أو يحس بجهد، ويكون لذلك أثره فيه فيلطف حسه ويرق خياله ويتسع تصوره.

وقد نقل ابن حجة قول الزمخشري في التورية حيث قال:

(ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذه الباب)

فهـــي – في جوهرهـــا – أوســـع نطاقـــا وأبعـــد آفاقـــا، وهـــي – على الأقل – ذات صلة وثقى بأنواع البلاغة :كالمجـاز والإلغـاز والمحاجـاة والتوجيه والتلميح والإبهام والجناس، و بينها وبين هذه الأنواع أمور متشابهة ، وخيوط رفيعة ، وفروق دقيقة .

أنواع التورية

التورية أربعة أنواع:

- ✍ مجردة
- ✍ ومرشحة
- ✍ ومبيّنة
- ✍ ومهيّأة

التورية المجردة:-

هي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به، وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المورّى عنه، وهو المعنى البعيد.

كقول الله تعالى:

رضي الله عنها ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ رضي الله عنهم[1]

التورية في كلمة (استوى)

والاستواء، كما يقول الزمخشري، "على معنيين:

أحدهما الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المورّى به غير المقصود، والثاني الاستيلاء والملك.

وهو المعنى البعيد المورّى عنه، وهو المراد، لأن الحق سبحانه منزّه عن المعنى الأول. ولم يذكر من لوازم هذا أو ذاك شيء فالتورية مجردة بهذا الاعتبار."

ومن هذا النوع قول النبي ﷺ أثناء خروجه إلى بدر وقد سئل :ممن أنتم؟ فلم يرد أن يعلم السائل، فقال: «من ماء»، وأراد:

١- سورة طه: الآية ٥.

أنا مخلوقون من ماء. فورّى عنه بقبيلة من العرب يقال لها: ماء.

ومنه قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فأزهرت فيه الأرض:

كأن نيسان أهدى من ملابسه لشهر كانون أنواعا من الحلل

أو الغزالة* من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل

*الغزالة : من أسماء الشمس

فالتورية هنا مجرّدة، والشاهد في الغزالة والجدي والحمل فإن الشاعر لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيئا من لوازم المورّى به كالأوصاف المختصة بالغزالة من سواد العين ، و طول العنق وسرعة الحركة.

التورية المرشحة

هي التي يذكر فيها لازم المورّى به، وهو المعنى القريب وسميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المورى به.

ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده، وهي من هذا الوجه نوعان :

- الأول:

هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية.

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فإن قوله: بِأَيْدٍ وإنا لموسعون"[1]

يحتمل اليد التي هي عضو من أعضاء الإنسان ، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح (بنيناها).

ويراد القوة وعظمة الخالق، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه والمقصود في الآية الكريمة ، لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن المعنى

١-سورة الذاريات : الآية ٤٧.

الأول الذي ذكر .

وقال يحيى بن منصور:

فلما نأت عنا العشيرة كلّها ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة ... ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

التورية في لفظة «الجفون» قد يراد بها جفون العين، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، وقد تقدم لازم من لوازمه على جهة الترشيح وهو«أغضينا » لأنه من لوازم العين.

وقد يراد بها جفون السيوف أي أغمادها، وهذا هو المعنى البعيد المراد المورى عنه.

- والنوع الثاني:

مذ همت من وجدي في خالها ... ولم أصل منه إلى اللثم

قالت: قفوا واستمعوا ما جرى ... خالي قد هام به عمي!

التورية هنا في قوله : «خالها» فقد يراد به الخال أخ الأم وهو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح

وهو «عمي »، وقد يقصد به النقطة السوداء التي تظهر غالبا في الوجه وهي علامات الجمال في المرأة، وهذا هو المعنى البعيد الخفيّ المورّى عنه وهو المقصود .

✍ التورية المبيّنة

وهي ما ذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده.

وهي نوعان :

- الأول:

ما ذكر لازم المورّى عنه قبله مثل قول البحتري:

ووراء تسـديـة الوشـاح مليـة   بالحسن تملح في القلوب وتعذب

التورية في قوله «تملح» فقد يراد به الملوحة التي هي نقيض العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورّى به وهوغير المراد.

وقد يراد به الملاحة أي الفتنة والجمال، وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد. وقد تقدم من لوازمه على التبيين«مليّة بالحسن».

النوع الثاني، من التورية المبينة:

هو الذي ذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية.

مثل قول الشاعر:

أرى ذنب السرحان في الأفق طالعا   فهل ممكن أن الغزالة تطلع؟

فالبيت فيه توريتان إحداهما «ذنب السرحان» والمراد به ضوء النهار، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه، وهو مراد الشاعر وقد بيّنه بذكر لازمه بعده بقوله: «طالعا».

ويراد به ذنب الحيوان المعروف وهو الذئب أو الأسد وهذا هو المعنى القريب المورّى به وهو غير مراد .

والتورية الثانية في قوله : «الغزالة» فإنه يحتمل أن يكون المراد بها الشمس، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه، وهو مراد الشاعر وقد بيّنه بذكر لازمه بعد بقوله:«تطلع».

ويحتمل أن يكون المراد بها الغزالة أي الحيوان الرقيق المعروف وهذا هو المعنى القريب المورّى به والذي لم يقصده الشاعر.

التورية المهيّأة

وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ إلا باللفظ الذي قبلها أو باللفظ الذي بعدها، أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر.

وهي ثلاثة أنواع :

- النوع الأول من التورية المهيأة:

هو الذي تتهيأ فيه التورية من قبل.

مثل قول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة:

وسيرك فينا سيرة عمرية	**فروحت عن قلب وأفرجت عن كرب**
وأظهرت فينا من سميك سنة	**فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب**

موضع التورية في قوله :

«الفرض والندب» وهما يحتملان أن يكونا من الأحكام الشرعية، وهو المعنى القريب المورّى به.

ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الأمور، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه.

ولولا ذكر «السنّة» لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية.

- **النوع الثاني من التورية المهيأة:**

هو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده.

مثل قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الأشعث بن قيس: «إنه كان يحوك "الشمال" "باليمين" »، فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهي الكساء يشتمل به، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه.

وقد يراد بها "الشمال" التي هي إحدى اليدين ونقيض اليمين، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد.

- **النوع الثالث من التورية المهيّأة:**

هو الذي تقع التورية فيه في لفظين لو لا كل منهما لما تهيّأت التورية في الآخر.

مثل قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان؟

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

والتورية في قوله (الثريا وسهيل)، فإن «الثريا» يحتمل أن يكون الشاعر أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد، ويحتمل أن يكون أراد بها نجم الثريا، وهذا هو المعنى القريب المورى به.

و «سهيل» يحتمل أيضا أن يكون سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل أن يكون النجم المعروف بسهيل، وهذا هو المعنى القريب

الموری به. ولولا ذكر «الثريا» التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل. وكل واحد منهما صالح للتورية.

ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام أن التورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبيّنة؛ لأن الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما إلا بلازم خاص. والفرق بين اللفظ الذي تتهيأ به التورية، واللفظ الذي تترشح به، واللفظ الذي تتبيّن به- أن اللفظ الذي تقع به التورية مهيّأة لو لم يذكر لما تهيأت التورية أصلا، وأن اللفظ المرشح واللفظ المبين إنما هما مقويان للتورية، فلو لم يذكرا لكانت التورية موجودة.

والتورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة، ولهذا نرى الكثيرين جدا من شعراء مصر والشام خاصة في القرن السادس والسابع والثامن للهجرة يتوسعون ويفتنون في استعمالها.

ويقال إن المتنبي هو أول من التفت إليها واستخدمها في شعره على نحو ظاهر، ولكن التحقيق يظهر أن شعراء البديع في العصر العباسي الأول والثاني من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري قد سبقوه إليها.

ويعتبر النقاد القاضي الفاضل «٥٩٦ هـ» أول من فتح باب التورية لأهل عصره ومن بعدهم بما أودع منها في نظمه ونثره.

والقاضي الفاضل هو عبد الرحيم بن علي وزير السلطان صلاح الدين، اشتهر بالقاضي الفاضل، وهو من أئمة الإنشاء وتعرف طريقته في الكتابة بالطريقة الفاضلية وقد تأثر بها وقلّدها من جاء بعده من الشعراء والكتاب فتأثر به في الولع بالتورية كثيرون من شعراء مصر **من أمثال :**

- ابن سناء الملك، والسرّاج، والورّاق، والجزار، والحمامي وابن دانيال، ومحيي الدين بن عبد الظاهر، وجمال الدين بن نباته وصلاح الدين الصفدي.

" ولعل تقي الدين بن حجة الحموي من أكثر رجال البديع المتأخرين اهتماما بالتورية.

وتشير مصادر الأدب والنقد إلى أن التورية كنوع من البديع المعنوي "لم يحفل بها المتقدمون كثيرًا وأن ماكان يأتي منها

في شعرهم يقع من غير قصد أوتعمد منهم ، ثم أخذ الاهتمام بها ابتـداء من عصر المتنبي يزداد شيئا فشيئا حتى وصـلت إلى عصرـ القـاضي الفاضـل فتلقفها وتوسع في استعمالها في شعره ونثره إلى الحد الذي لفت الأنظار إليها.

وقد جاراه فيها شعراء مصـر والشام خاصة في عصرـه وبعـد عصرـه، وقد أدى الإعجاب بها والمبالغة في استعمالها والإكثار منها والتكلف فيهـا إلى إفســـاد الكثـــير مـــن شـــعر المتـــأخرين وإحالتـــه إلى رياضة ذهنية وحيل لفظية ينطبق عليها قول القائل:

"وما مثله إلا كفارغ بندق

خلى من المعنى ولكن يفرقع!"[1]

١- البديع ، د /عبد العزيز عتيق.

فنون البلاغة
ذات الصلة بالتورية

هناك فنون بلاغية ذات صلة بفن التورية منها :

الازدواج

هو اتفاق الجمل المتتالية في الطول والتركيب و الوزن الموسيقي بشرط ألا يوجد اتفاق في الحرف الأخير ، ويأتي **في** النثر فقط.

مثل:" حبب الله إليك الثبات، و زيّن في عينيك الإنصاف وأذاقك حلاوة التقوى،لا يترفع عنه نبي أو زاهد ، ولا ينحط عنه دني أو خامل ".

قيمته الفنية: مصدر للموسيقى الهادئة التي تطرب الأذن.

مراعاة النظير :

هو الجمع بين الشيء وما يناسبه في المعنى بشرط ألا يكونا ضدين **كما في قول المتنبي:**

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ويقول إيليا أبو ماضي:

ولـك الحقـول و زهرهـا وأريجهـا	ونســـيمها والبلبـــل المتـــرنم

وكقولك :

فاطمة تقرأ، وزينب تكتب .وقولك : أكلنا و شربنا

وقول الله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾ (1)

قيمته الفنية :

تقوية المعنى ، وتأكيده و نقل إحساس الأديب .

✍ التصريع:

هو تشابه نهاية الشطر الأول مع نهاية الشطر الثاني في البيت الأول مثال:

١- سورة البقرة:١٦.

يقول ابن زيدون :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويقول المتنبي :

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ويقول عنترة:

سكت فغر أعدائي السكوتَ وظنوني لأهلي قد نسيتَ

سر جمال التصريع :

" يحدث نغما موسيقيا يطرب الأذن"

✍ حسن التقسيم

هو تقسيم البيت إلى جمل متساوية في الطول والإيقاع ، ويأتي في الشعر فقط.

يقول البوصيري:

أكرم بخَلْق نبي زانه خَلَقٌ   بالحسن مشتمل بالبشر متّسم

كالزهر في ترف والبدر في شرف   والبحر في كرمٍ والدهر في هِمَمِ

ويقول شوقي :

الوصل صافية، والعيش ناغية   والسعد حاشية والدهر ماشينا

ويقول خليل مطران :

متفرد بصبابتي ، متفرد   بكآبتي ، متفرد بعنائي

سر جماله :

" يحدث نغما موسيقيا يطرب الأذن"

✍ الالتفات:

هو الانتقال من ضمير إلى ضمير كأن ينتقل من ضمير الغائب إلى المخاطب أو المتكلم و المقصود واحد **كقوله تعالى:-**

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (1)

فقد تكلم الله عن المشركين بضمير الغائب في قوله :

(وحشرناهم) ثم بضمير المخاطب في قوله : (جئتمونا) . وتكلّم جلّ وعلا عن نفسه فقال : (وحشرناهم) بضمير المتكلم ثم قال: (وعرضوا على ربّك).

يقول البارودي :

أنا المرء لا يثنيه عن طلب العلا نعيم ولا تعدو عليه المفاقر

فقد انتقل الشاعر من ضمير المتكلم (أنا) إلى ضمير الغائب الهاء في قوله :(يثنيه).

١- سورة الكهف : الأية :٤٧-٤٨.

سر جمال الالتفات:

إثارة الذهن وجذب الانتباه ودفع الملل.

المشترك اللفظي:

عرفه الزبيدي في مقدمة تاج العروس أنه :

"اللفظُ الواحد الدالُّ على معنَيَيْن مختلفين فأكثر دلالةً على السَّواءِ عند أهلِ تلك اللغة" [1]

ومن أمثلته :

أورد السيوطي: قال أبو الطيب اللغوي: أخبرني محمد بن يحيى قال: أنشدني أبو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحِرْمازي للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها في قول الشاعر :

يا ويحَ قلبي من دواعي الهوى　　　إذ رحلَ الجيرانُ عند الغُروبْ

١- تاج العروس ، الزبيدي .

أتبعـتَهم طَرفــي وقـد أزمعـوا ودمـع عينـيَّ كفيض الغَروبْ

كـــانوا وفـــيهم طَفْلَـــةٌ حـــرَّة تفترُّ عن مثل أقاحي الغَروبْ

✍ عوامل نشأة المشترك اللفظي

عدة عومل كانت سببًا فى نشأة المشترك اللفظى منها:

اختلاف اللهجات

تعددت القبائل في جزيـرة العـرب ، وتعـددت معهـا لهجاتهـا ومعـاني الكلـــمات فقـــد يكـــون اللفـــظ بمعنـــى في قبيلـــة وبعنـــى آخـــر في قبيلة أخرى ، ومثال ذلك ماروي أن خالد ابن الوليد في إحدى الغـزوات أمسك بعدد من الأسرى ووضعهم في خيمة ، وكانت الليلة شـديدة الـبرودة فأشفق خالد بن الوليد على الأسرى من شدة البرد "فاسـتدعى جنـديا مـن الجنود وقال له : اذهب إلى خيمة الأسرى وأدفئهم ، فقال لـه الجنـدي سـمعا وطاعة ، وبعد قليل سمع خالد جلبة وصياحا وضوضـاء في خيمـة الأسرى فوجد الجندي قد قتل الأسرى جميعا ، فغضب خال وقال للجندي مـن فعـل هذا ؟ قال له الجندي :

أنا ياسيدي ، قال له خالد : قلت لـك أدفـئهم ، فقـال الجنـدي : وأنـا فعلت ذلك ياسيدي ، فالإدفاء في لهجة قبيلتنا كنانة يعني القتل " [١].

التطور اللغوى (الصوتى والدلالى)

لاتظل بعض المفردات على حالها ؛ بل يلحقها التغيـير بمـرور الـزمن ، فقد تكون بمعنى في فترة من الفترات ثم يلحقهـا التطـور فكلمـة (العـين) مثلا معروف أنها عضو من أعضاء الإنسان وأطلقت على عـين المـاء ، ومـع مـــرور الوقـــت صـــارت تعنـــي في بعـــض الأزمنـــة الرقيـــب أو الجاسوس أو المخابرات ، ذلك "لأن التطور اللغوى عامـل أسـاس مـن عوامل نشأة المشترك اللفظـى، لأن الكلمـة قـد تتطـور بعـض أصـواتها مـع احتفاظها بمعناها." [٢]

الاقتراض من اللغات الأخرى:

١- عبقرية خالد للعقاد بتصرف.
٢- فصول فى فقه العربية ، د/ رمضان عبد التواب ص.٣٢٦

اللغـة كالكـائن الحـي ومـن سـمات الكـائن الحـي التفاعـل مـع ما حوله ، وكذلك اللغة تتفاعل مع ا للغات المجـاورة تأخـذ منهـا وتعطـي، ودليل ذلك أن كثيرا من المفردات العربية دخلت الإنجليزية ،

كما أخذت العربية من غيرها من اللغات كاليونانية والفارسية وغيرها .

من ذلك: كلمة البرج بمعنى: الحصن، قد استعارته اللغـة العربيـة مـن اليونانية.

اختلاف الاشتقاق:

«تتفـق لفظتـان متقاربتـان فى صـيغة واحـدة، فينشـأ عـن ذلـك تعـددٌ فى معنى هذه الصيغة يؤدى إلى جعلها من قبيل المشترك، وهى ليست منـه إلا فى الظاهر"[1]

بمعنى أنه قد يكون للقواعد الصـرفية دورٌ في ظهور المشـترك اللفظـى، عندماتكون حروف الكلمة واحدة ولكنها تأتي بمعان مختلفة

١- فقه اللغة د/ وافى. ص١٩٢

من ذلـك الفعـل (وجـد) الـذى يـأتى بمعنـى: العثـور عـلى الشـىء، والغضب، والحب والعشق، والحزن ، وفق تشكيل حروف الفعل الثلاثة .

الإبهام على السامع:

فقد يعمد القائل أو الكاتب إلى الإبهام والتعمية على السامع وخير مثال لـــذلك مـــا رُوى عـــن أبـــى بكـــر الصـــديق – رضي الله عنه – وقد سأله رجل عن النبى ﷺ وقت ذهابهما إلى الغار: مَنْ هذا؟

فقال: «هذا رجل يهدينى السبيل».

فوائد المشترك اللفظي:

للمشترك اللفظي أثر في تنمية الألفاظ في اللغة العربية فهو يلبي الحاجة المتجـــددة للدلالـــة عـــلى معـــان تتولـــد باســـتمرار ، وبـــات من الواضح أن أهل اللغة يميلون إلى التعبير عن المعاني المتعددة بكلمة واحدة لما " لذلك من اقتصاد في بذل الجهد ، فضلا عن أن الألفاظ

محـــدودة قـــاصرة عـــن الوفـــاء بمطالـــب التعبـــير ولا ســـيما في الأفكار المجردة" (١).

"ولاشك أن المشترك اللفظى وسيلة جليلة من وسائل الثـراء اللغـوى للغة، فدلالة الكلمة الواحدة على عدة معانٍ، يعطى فرصة عظمـى للمـتكلم حيـــــنما يكـــــون فى حاجــــة إلى التعميـــــة عــــلى الســـــامع كما أنه – أى المشترك – يفيد منه الأدباء فى بعض الأحيان حيث (أدت كثـرة المشترك اللفظى فى العربية، إلى ذيوع ظاهرة (التورية) فيها) (٢).

الجناس:

الجناس (بكسر الجيم) :

تشابه لفظـين، مـع اخـتلافهما في المعنـى. وهـو أضرُبٌ كثـيرة ولنبـدأ بالجناس التام فهو سيّد الموقف وهو نوعان:

✍ الجناس التام:

ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة :

١- المدل إلى فقه اللغة : ٢٨٦.
٢- فصول فى فقه العربية ص٣٣٥.

- ✓ نوع الحروف
- ✓ وعددها
- ✓ وهيئتها
- ✓ وترتيبها مع اختلاف المعنى

مثل قول الله تعالى :

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [1]

- فالساعة الأولى: يوم القيامة.
- والساعة الثانية: يراد بها من الزمان .

وقال تعالى :

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [2]

١- سورة الروم: الآية ٥٥.
٢- سورة النور:٤٣-٤٤

-ومن أمثلة الشعر قول الشاعر :

فـدارِهم مادمـت فـي دارهـم   وأرضـهم مادمت في أرضـهم

وحيهم مادمت في حيهم

وقول الشاعر :

لو زارنا طيف بنت العم أحيانا   ونحن في حفر الأجداث أحيانا

وقول الشاعر:

عضنا الدهر بنابه   ليت ما حلّ بنا به

وقول الشاعر:

إذا ملــكٌ لــم يكــن ذاهبــه   فدعـــــه ، فدولتـــــه ذاهبـــــة

وقول الشاعر في رثاء بغداد حين هدمها التتار :-

إن لـم تقـرحِ أدمعـي أجفـاني   من بعدِ بعدكُم فما أجفاني؟

ومن نـماذج الجنـاس المشـهورة التـي تناقلتهـا كتـب الأدب ويتـداولها معلمواللغة العربية كثيرًا في مجال التدريس وهم يعرضون فن الجناس :

- قول الشاعر إسماعيل صبري :

طرقت الباب حتى كلّ متني   فلمـــا كــلّ متنـــي كلّمتنـــي

فقالت لي أيا اسماعيلُ صبراً   فقلت لها أيا اسماعيلَ صبري

- وقول القائل :

قبورنــا تبنــى ونحــن مــا تبنــا   ياليتنا تبنا من قبل أن تبنى

ومن أمثلة الجناس التام قول الشاعر:

فلم تضعِ الأعادي قدر شاني   ولا قــالوا فــلانَ قــد رشــاني

الجناس هنا نلمحه في قوله (قدر شاني ، وقوله قد رشاني)

ومنه قول الشاعر:

إلــى حتفــي ســعى قــدمي   أرى قـــــدمي أراق دمـــــي

وقول أبو الفتح البستي :

يا من يُضيعُ عمرَه متمادياً في اللهو أَمْسِكْ   واعلم بأنك لامحالةَ ذاهبٌ كذهاب أمسِكْ

قال مجنون ليلى :

أقولُ لظبي مرَّ بي وهو هائم : أأنتَ أخو ليلي ؟ فقال : يقالُ

فقلت : أفي ظل الأراكة والغضا يقَـالُ ويسـتظلل ؟ فقـال يقَـالُ

وقـال المتنبـي مادحـا سـيف الدولـة ومفتخـرًا بفروسـيته وهو يوطد أركان حكمه ويقيم دعائم دولته القوية ويصون أركانها من كيـد الأعادي المتربصين بها هنا وهناك :

بسيفِ الدولـةِ اتسقت أمـورٌ رأيناهـا مبـددة النظـام

سما وحمى بني سام وحام فليس كمثلـه سامٍ وحام

وقول الشاعر:-

قد راعني بدر الدجى بصدوده ووكّلَ أجفاني برعيِ كواكبِه

فيا جزعي مهلاً عساه يعود لي ويا كبدي صبراً على ما كواكِ به

- وقول الشاعر:

سـل سـبيلا إلـى النجـاة ودع دمع عيوني يجري لهم سلسبيلا

-

وقول الشاعر:

قوم لوأنهم ارتاضوا لما قرضوا   أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

- **وقول الشاعر:**

لا تعرضن على الرواة قصيدة   ما لم تكن بالغت في تهذيبها

وإذا عرضت الشعر غير مهذّب   ظنوه منك وساوساً تهذي بها

ومن الأبيات المشهورة التي يرددها الناس -كثيراً :

رأيت الناس قد مالوا   إلى من عنده مالُ

ومن لا عنده مال   فعنه الناس قد مالوا

رأيت الناس قد ذهبوا   إلى من عنده ذهبُ

ومن لا عنده ذهب   فعنه الناس قد ذهبوا

رأيت الناس منفضة   إلى من عنده فضة

ومن لا عنده فضة   فعنه الناس منفضة

وقول الامام الشافعي:

رأيتكَ تكويني بِميسم منة   كأنك كنت الأصل في يوم تكويني

فدعني من المنَ الوخيم فبلغة○   من العيش تكفيني الى يوم تكفيني

وقول الشاعر :

أوصى لي البين أن اشقى بحبكم   فقطّع البيَن أوصالي وأوصى لي

وقول أحدهم : يجلس في الصدر واسعُ الصدر .

الجناس الناقص:

هو ما اختلفت فيه الكلمتان في عدد الحروف أو شكلها أو هيئتها أو ترتيبها مع اختلاف في المعنى .

مثال :

قال البهاءُ بن زهير:

أشكو وأشكر فعله   فاعجب لشاكٍ منه شاكرْ

طرفي وطرفَ النجم فيه   كلاهما ساهٍ وساهرْ

ففي هذا المثال ثلاثة أمثلة للجناس الناقص لاختلاف الكلمتين بحرف واحد .

- فالأول: (أشكو وأشكر) :
- الثاني: (شاك وشاكر)
- الثالث :(ساه وساهر)

وقيل :-

(رحـــمَ الله امـــرأ أمســـكَ مـــا بـــين فكيـــه، وأطلـــق مـــا بـــين كفيـــه) فالجنـــاس هنـــا نـــاقص للاخـــتلاف في ترتيـــب الحـــروف لا اختلافهـــا في النـــوع :ثـــم يـــأتي الجنـــاس النـــاقص بـــاختلاف ضـــبط الحروف .

قال الشاعر :

أنكرتَ من أدمعي تترى(سواكبها)   سلي دموعي هلْ أبكي (سواك بها)

قال رسول الله ﷺ

(الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة)

-قيل في موت أحد الكرام حين سقط من فرسه:-

"إنا لله وانا إليه راجعون ، قتل الجوادُ الجوادَ"

ومن أمثلة الجناس الناقص في النثر :

إن الدنيا إذا أقبلت بلت ، وإذا أدبرت برت ، وإذا أطنبت نبت وإذا أركبت كبت ، وإذا حلَتْ أو حلتْ ، وإذا أبهجت هجَتْ وإذا أسعفت عفَتْ ، وإذا أينعتْ نعَتْ ، وإذا أكرمت رمتْ وإذا عاونت ونَتْ ، وإذا ماجنَتْ جنَتْ ، وإذا صالحتْ لَحَتْ وإذا بالغتْ لغَتْ وإذا ولّهتْ لَهتْ ، وإذا سامحتْ محَتْ وإذا واصلَتْ صَلَتْ ، وإذا وفّرتْ فَرَتْ ، وإذا توّهَتْ وهَتْ وإذا بسطَتْ سطَتْ.

الفرق بين الجناس التام والتورية :

الذي يعنينا هو الجناس التام لما فيه من تشابه بينه وبين التورية فالكلمتان في الجناس التام تتشابهان في الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها وتشكيلها مع اختلاف معنى كل كلمة عن الأخرى .

- وتعد التورية، والجناس التام من أنواع المشترك اللفظي.

رؤية نقدية حول صلة التورية ببعض أنواع البديع:–

لو دققنا النظر في ما مر ذكره من محسنات بديعية لوجدنا الآتي:-

- المحسنات جميعها تقوم على قاعدة ثنائية الصياغة :
- فالازدواج علاقة تقارب وتشابه في المعنى بين جملتين فأكثر والمساواة ومراعاة النظير علاقة تقارب في المعنى بين جملتين والجناس علاقة اتفاق واختلاف، اتفاق بين كلمتين في عدد الحروف وهيئتها وتشكيلها واختلاف في المعنى في حالة الجناس التام .
- وفي حالة الجناس الناقص توجد علاقة اتفاق واختلاف؛ اتفاق في بعض الحروف مع اختلاف في المعنى.
- وفي السجع، توجد علاقة ثنائية، أي كلمتين، مع وجود علاقة اتفاق بينهما حيث تتفق الكلمتان في الحرق الأخير.
- وفي الطباق نلاحظ الثنائية بين كلمتين مع وجود علاقة اختلاف بينهما؛ هو ماأسميناه ذكر المعنى وضده .

- وفي المقابلة توجد الثنائية نفسها ولكن بين جملتـين، مـع وجـود علاقـة اختلاف بينهما فكل كلمة تكون عكس كلمة في الجملة الأخرى.

وهكذا يتحكم في صياغة المحسنات شيئان : ثنائية الصـياغة والعلاقـة سواء أكانت علاقة اتفاق أم علاقة اختلاف ، وتستطيع أن تتبين ذلـك حيـنما تتأمل ما تشتمل عليه المحسنات البديعية من مباحث .

وفي المشترك اللفظي نجد كلمة واحدة بمعنيين أو عدة معان تفهـم مـن السياق الذي وضعت فيه.

وفي التورية يختلف الأمر؛ إذ نجدها كلمـة واحـدة لكنهـا تعتمـد عـلى ثنائية المعنى: معنى قريب ويكون غير مطلوب، ومعنى بعيـد وهـو المطلـوب دائما ،حتى تتحقق التورية ؛ لذلك كان لها(أي التورية) خصوصية تنفرد بهـا عن غيرها من المحسنات .

آخذين في الاعتبار أن المحسنات جميعها تأتي بغرض:

- إحداث إيقاع وموسـيقا ترتـاح لهـا وتطـرب الأذن ، كـما هـو الحـال في السجع.

- إبراز الشيء وتوضيحه كما هو الحال في الطباق والمقابلة .

- توضيح المعنى وإثارة الذهن كما في الجناس الناقص والتام .

- تزيين الأسلوب وإضفاء مسحة الجمال عليه ، وهذا سبب تسميتها بالمحسنات البديعية ، ولأجل ذلك أقبل عليها كثير من الشعراء والكتاب ، وغالى بعضهم في الإتيان بها والقصد إليها في إبداعاتهم، وحسبك أن تقرأ ماقاله أبو تمام في وصف الربيع لتتبين مااشتملت عليه من قدر كبير من المحسنات في قصيدته الرائية المشهورة :

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حلْيِه يتكسَّر

نزلت مقدمةُ المصيف حميدة ويدُ الشتاء جديدةٌ لا تكفر

لولا الذي غرس الشتاء بكفه لاقى المصيفُ هشائماً لاتثْمر

كمْ ليلةٍ آسى البلاد بنفسه فيها ويومٍ وبلُه مثْعنجر

مطر يذُوب الصَّحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يمطر

غَيْثَانِ فالأَنْواءُ غَيْثٌ ظاهِرٌ لكَ وجهه والصحو غيثٌ مضمر

وندىً إذا ادهنتْ بهِ لمم الثرى خلْتَ السحابَ أتاهُ وهو مَعذَر

****

أربيعنا في تسع عشرةَ حجةً حَقّاً لَهَنَّكَ لَلرَّبيعُ الأزْهَرُ

ما كانتِ الأيامَ تسلبُ بهجةً لو أنَّ حسنَ الروضِ كانَ يعمرُ

أولا ترى الأشياء إنْ هي غيرت سمجتْ وحُسْنُ الأرضِ حينَ تَغَيَّرُ

****

يا صاحِبَيَّ تَقَصَّيا نظريكُما تريا وجوهَ الأرضِ كيفَ تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابَه زهر الربا فكأنما هو مقمر

دنيا معاشٌ للورى حتى إذا حل الربيع فإنما هي منظر

****

أضحتْ تصوغُ بطونها لظهورها نَوراً تكادُ لهُ القلوبُ تَنَوَّرُ

مِن كل زَاهِرةٍ تَرَقْرَقُ بالنَّدَى فكأنها عينٌ عليهِ تحدرُ

تبدو ويحجبها الجميم كأنها عذراء تبدو تارة وتخفر

حتى غدت وهداتها ونجادها فئتين في خلع الربيع تبختر

مصفرة، محمرة فكأنها عصب تيمن في الوغا وتمضر

من فاقع غض النبات كأنه در يشقق قبل ثم يزعفر

أو ساطع في حمرة فكأن ما يدنو إليه من الهواء معصفر

صنع الذي لولا بدائع صنعه ماعاد أصفر بعد إذ هو أخضر

****

خلق أطل من الربيع كأنه خلق الإمام وهديه المتيسر

في الأرض من عدل الإمام وجوده ومن النبات الغض سرج تزهر

تنسى الرياض وما يروض فعله أبداً على مر الليالي يذكر

إن الخليفة حين يظلم حادث عين الهدى وله الخلافة محجر

كثرت بـه حركاتها ولقد ترى   مــن فتــرة وكأنهــا تتفكــر

مازلـت أعلـم أن عقـدة أمرهـا   فـي كفـه مـذ خليـت تتخيـر

فيض من المحسنات اللفظية تغص به القصيدة تستطيع أن تتبينها في يسر، ففيها الازدواج ومراعاة النظير في قوله : غيث ظاهر وغيث مضمر ، فضلاً عما فيها من طباق .

والجناس في قوله : نورا تكاد له القلوب تنور .

والطباق بين : وهداتها ونجادها ، والمصيف والشتاء ، وبين مشمس ومقمر ، وبطون وظهور ، وتسلب وتعمر ، ومعاش ومنظر

وفي نموذج آخر ممتلىء بالصنعة اللفظية يقول مادحا :

فَحْواكَ عَيْنٌ على نَجْواكَ يامَذِلُ*[1]   حتَّامَ لايَتَقَضَّى قَوْلُكَ الخَطِلُ!؟

وإنَّ أسمجَ من تشكو إليهِ هوى   من كانَ أحسنَ شيءٍ عندهُ العذلُ

ما أقبلتْ أوجُهُ اللذّاتِ سافرةً   مذْ أدبرتَ باللوى أيامنا الأولُ

---

* مَذِلٌ : الإنسان الضجر القلق.

إن شئتَ ألا ترى صبراً لمصطبر فانظُرعلى أيِّ حالٍ أصبحَ الطَّلَلُ

كأنَّما جَادَ مغْناه، فغَيَّره دُمُوعُنا، يومَ بانُوا، وهْيَ تَنْهمِلُ

ولَوتراهم وإيَّانا وموقِفَنا في مأتمِ البينِ لاستهلالنا زجلُ

من حرقة أطلقتها فرقةٌ أسرتْ قلباً ومنْ غزلٍ في نحرِه عذلُ

يخزي ركام النقا ما في مآزرها ويَفْضَحُ الكُحْلُ في أجْفانِها الكَحَلُ

هانتْ على كلِّ شيءٍ فهو يسفكها حتى المنازلُ والأحداج والإبلُ

بالقائمِ الثَّامنِ المُسْتَخْلَفِ اطَّأدتْ قواعدُ الملكِ ممتداً لها الطولُ

بيُمْنِ معْتَصِمٍ باللهِ لا أَوَدٌ بالمُلْكِ مُذْ ضَمَّ قُطْرَيْه ولاخَلَلُ

يَهْني الرَّعِيَّةَ أَنَّ اللهَ مُقْتَدِرٌ أعطاهم بأبي إسحاقَ ما سألوا

لو كان في عاجلٍ من آجل بدلٌ لَكانَ في وَعْدِه مِنْ رِفْدِه بَدَلُ

تغاير الشعر فيه إذ سهرتَ له حتى ظننتُ قوافيه ستقتتلُ

ماإنْ يُبالي إذا حلّى خَلائقَه بجُودِه أيُّ قُطرَيْه حَوى العطَلُ

كأنَّ أموالَه والبذْلُ يمحقُها نهبٌ تعسفه التبذير أو نفلُ

شَرسْتَ بل لنْتَ بل قانيْتَ ذَاك بذا فأنتَ لاشكَّ فيكَ أنتَ السَّهْلُ والجَبَلُ

يدي لمن شاء رهنٌ لم يذُقْ جرعاً مِنْ راحتَيْكَ دَرَى ماالصَّابُ والعَسَلُ

صلّى الإلهُ على العبَّاسِ وانبجسَتْ على ثَرى حلّةُ الوكافَةُ الهطُلُ

ذَاكَ الذي كَانَ لَو أنَّ الأنام لَهُ نسلٌ لما راضهم جبنٌ ولا بخَلُ

أبو النجومِ التي ما ضنَّ ثاقبها أنْ لم يكَنْ برجه ثَور ولاحملُ

من كلِّ مشتهرٍ في كلِّ معترك لم يعرفِ المشتري فيه ولا زُحَلُ

يَحْميه لأْلاؤه أولَو ذَعيَّتُهُ من أن يذال بمَن أو ممِن الرَّجلُ

ومَشْهدٍ بين حكْم الذُّل منْقطعٌ صاليه أو بحبالِ الموت متصلُ

ضنْكٍ إذاخَرِستْ أبطَالُه نطَقَتْ فيه الصَّوارمِ والْخَطّيةُ الذُّبلُ

لايطمع المرء أن يجتَاب غَمرتَه بالقولِ ما لَمْ يكُنْ جِسراً لَه العمَلُ

جليتَ والموتُ مبدٍ حرَّ صفحتهِ   وقدْ تفرعنَ في أوصاله الأجلُ

أبحتْ أوعاره بالضربِ وهو حمى○   للحربِ يثبُتُ فيه الرَّوعُ والوهلُ

آلُ النبي إذا ما ظلمةٌ طرقَتْ   كانوا لنا سرجاً أنتم لها شعلُ

يســتعذبون منايــاهم كــأنَّهم   لا ييأسون من الدنيا إذا قُتلوا

قَوم إذَاوعدواأو أوعدوا غمروا   صدقاً ذوائبَ ما قالُوا بما فعلُوا

أسدُ العرين إذا ما الروعَ صبحها   أوصبَّحته، ولكنْ غابُها الأسلُ

تَنَاوَلَ الفَوتَ أَيدي الموْتِ قَادرَةً○   إذا تنــاولَ ســيفاً مــنهم بطــلُ

ليسقمِ الدهرُ أو تصححْ مودتهُ   فاليوم أَوَّلَ يومٍ صحَّ لي أَملُ

أَدنَيتَ رحلَي إلى مدْنٍ مكارِمه   إلــي يهتبلُ اللذْ حيثُ أهتبلُ

يَحميه حزْمٌ لِحزمِ البُخْلِ مهتَضمٌ   جوداً وعرضٌ لعرض المالِ مبتذلُ

فكْرٌ،إذَا راضهُ رَاضَ الأُمورَ بهِ   رَأْيٌ تفَنَّن فيهِ الرَّيْثُ والعجَلُ

قَدْ جَاءَ مِنْ وَصفِكَ التَّفْسِيرُ مُعْتَذِراً بالعجزِ، إنّ لم يغثني الله والجَمَلُ

لقد لبِسْتَ أَميرالمؤمنين بها حَلْياً نظَامُاه بيتٌ سار أَومثَلُ

غَريبةٌ تُؤنِسُ الآدَابَ وحْشتَها فما تَحُلُّ على قومٍ، فترتحِلُ

تستطيع أن تتبين هذا القدر الهائل من المحسنات البديعية في الأبيات السابقة مما يدل دلالة واضحة على ولع أبي تمام بالصنعة اللفظية .

والصنعة اللفظية ليست عيبا ، فهي إذا جاءت عبر الشعر أو النثر طبيعية لاتكلف فيها تكون محمود تروق في عين القارىء أو السامع أما الإسراف فيها بتعمد صياغتها والإتيان بها فهذا أمر ممقوت يذري بالعمل الأدبي ويقلل من شأنه .

بين التورية والتعريض

✍التعريض في اللغة :

- تعريض : مصدر عرّض .

- أي : فَهِمَ مِنْ كَلاَمِهِ تَعْرِيضاً بِهِ : تَلْمِيحاً مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ .

- ويقال : عرّض فلان لكذا : جعله عُرْضةً وهدفًا له .

- ويقال: عرّض له بالقول : لم يبيّنه ولم يصرِّح .

- ويقال: عرّض بفلانٍ ، ولَهُ : قال فيه قولا يعيبُه .

- عرّض لي فلانٌ تعريضاً: أي: قال فلم يُبَيِّن بصراحة اللفظ

✍التعريض اصطلاحا :

- أن تقول كلامًا لا تصرّح بمرادك منه، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية.

- أو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضاً بالمخاطب، كقولك للمهذار: (إذا تمّ العقل نقص الكلام)

- وقد ورد في الأثر : "إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب"[1].

- وقد يكون التعريض بذكر مثل أو لغز أو قول مأثور، وفيه غمز لا يفطن إليه إلا كل ذي بصر وتذوق بلاغي .

- والتعريض في خطبة المرأة: أنْ يتكلّم الخاطب بكلام يدل على أنه يريد خطبتها دون تصريح ومثال التعريض :

- في إحدى المحاضرات قال زميل لزميله بعد أن انتهت المحاضرة: لا أرى طَحْنًا

- والتعريض هنا واضح : أن المحاضرة لافائدة منها ، لكنه قالها بطريقة غير مباشرة.

- وانظر إلى التعريض في قوله تعالى :

رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ[2]

١- صحيح البخاري- باب الإيمان- المعاريض، رقم ٥٨٥٦ .
٢- سورة التوبة:٨١.

فقولـه عــن نــار جهــنم أنهــا أشــد حــرًا هــو تقريــع لهــم لأنهــم لا يريـدون القتـال في معركـة تبـوك في الحـر، وكأنـه يقـول لهـم سـتكونون في نار جهنم وهي أشد حرًا، ولعلهم يفقهون ذلك فيقدمون للقتال .

وجاء في الصناعتين [1] :

- "ومن مليح ما جاء في هذا الباب قول أبي العيناء، وقد قيـل لـه: مـا تقول في ابنيْ وهب؟ فاستشهد بقول الله تعالى :

﵂وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﵃ [2]

والتعريض – كما نقول في لغتنا اليومية الدارجة :-

(الكلام ليك ياجارة)

- فقد يقول الشابّ الراغـب في الـزواج لوالديـه: ابنـة عمّـي صـارت ناضجة.

١- سر الصناعتين، للعسكري ص ٣٦٨.
٢- فاطر : ١٢.

ومناسبةً لمن يخطبُها، تعريضاً بأنّه يريد أن يتزوّج ولا مانع لديه من خطبتها له

- ويقول طالب وظيفة ذات راتب في الدولة، بحضور من يملك توظيفه، أو باستطاعته أن يتوسط له لدى من يملك توظيفه: أنا لا عمل عندي أكسب منه مالاً، وعندي من المؤهلات كذا وعندي أسرة كبيرة أنا مسؤول عن إعالتهم، تعريضاً بأن يوظفه أو يتوسط له.

- **يقول الدكتور /وسام حسين جاسم:**

(تميّز العرب بشدّة فطنتهم، وهذا مما لا مندوحة إلى نُكرانه فكانوا يعرفون الكلام ظاهره وباطنه وبعيد مراميه، فينتفضوا إذا ضيموا فيما يُشمّ من كلام يُراد به غضّ قناةٍ لهم، وتنفرج أساريرهم إذا تلمّسوا خيرًا ورفعةً لشأنهم فيما يوجه له من كلام ولعلّ بلغاءهم من الخطباء والشعراء ومتحدّثيهم من القادة والعلماء، كانوا المبرّزين في هذا الجانب) [1] .

١- د. وسام حسين ، موقع : الأدب العربي الأليكتروني.

- جاء في البيان والتبيين أنه دخل رجل من محارب قيس – وهي إحدى العشائر – على عبد الله بن يزيد الهلالي، وهو عامل على أرمينية، وقد بات في موضع قريب منه غدير فيه ضفادع فقال عبد الله للمحاربي: ما تركتنا أشياخ محارب ننام في هذه الليلة، لشدة أصواتها.

فقال المحاربي:

أصلح الله الأمير، إنها أضلّت برقعا لها، فهي في بغائه

أراد الهلالي **قول الأخطل:**

تنقّ بلا شيء شيوخ محارب   وما خلتها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت   فدلّ عليها صوتها حيةُ البحرِ

وأراد المحاربي قول الشاعر   لكلّ هلاليٍّ من اللؤمِ برقَعَ

ولابنِ هلالٍ برقُعٌ وقميصُ

والحوار هنا بين الطرفين، قد اعتمد على الشعر، واتخذ منه وسيلة ينفذ من خلالها إلى بغيته ومقصده بطريقة غير مباشرة

لم تأخذ المنحى المباشر، بل استندت إلى فطنة كلّ من المتحاوريْن.

- رُويَ أنه كان يونس النحويّ يختلف إلى الخليل يتعلّم منه العـروض، فصعب عليه تعلّمه.

فقال له الخليل يوماً: من أيّ بحر قول الشاعر:

إذا لـم تسـتطع شـيئاً فدعـه وجــاوزه إلــى مــا تســتطيع

ففطن يونس إلى ما عناه الخليل وترك العروض.

والخليل بهذا البيت أمكنه أن يبلغ الرسالة إلى يونس النحوي ويفهمه — بطريق غير مباشر - أنه غير قادر على تعلم العروض وأوزانـه، وخـير لـه أن يتحول عن هذا العلم إلى علم آخر وقد كان .

- "رُوي عن أعرابيّةٍ مرّت بقوم من بنـي نمـير، فـأداموا النظـر إليهـا، فقالت:

يـــا بنـــي نمـــير، والله مـــا أخـــذتم بواحـــدة مـــن اثنتـــين: لا بقول الله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [1]

ولا بقول جرير:

فغُضِّ الطَّرفَ إنكَ مِن نميرٍ فـلا كعبـاً بلغـتَ ولا كلابـا

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا ، بعد أن فهمـوا مـافي كلامهـا مـن تعريض بهم ، وتلميح إلى مكانتهم بين القبائل . [2]

– وفي مجلس الشريف المرتضى المعروف بتشدّده في تتبعِ عثـرات المتنبـي وتقصّي المآخذ عليه، قال أبو العلاء له: لو لم يكن له إلا قوله:

لك يا منازلُ في القلوبِ منازلُ أقفرتِ أنتِ وهُنّ منكِ أواهلُ

لكفاه، فغضب المرتضى وأمر بإخراجه، ثم قال المرتضـى لمـن حضرـه: أتدرون لم اختار الأعمى (أي أبا العلاء) هذه القصيدة دون

١- سورة النور: ٣٠.
٢- بلاغة النساء لابن طيفور.

غيرها من غُرر المتنبي؟ قالوا: لا، قال: إنما عرّض بقوله :

وإذا أتتكَ مذمَتي من ناقصٍ فهي الشهادةَ لي بأني كاملُ

والقصة تبرز في وضوح ذكاء المتحاوريْن (الشريف المرتضى وأبي العلاء المعري) ، كما يقول عنها الدكتور طه حسين، وتدلل بوضوح على (حذق أبي العلاء في التعريض، وقوة المرتضى في الفهم) ؛ إذ كان أبو العلاء محبا لشعر المتنبي ، وكان الشريف المرتضى مبغضا للمتنبي متتبعا لعثراته .

والقصة تدلنا على ماكان عليه العرب من فطنة واسعة وإدراك لمرامي الكلام ، وقدرة على إقناع الخصوم .

وجاء في طوق الحمامة :

" أول ما يستعمل أهل المحبة في كشف ما يجدونه إلى أحبتهم التعريض بالقول، إما بإنشاد شعر، أومثل، أو تعمية بيت، أو طرح لغز أو تسليط كلام والناس يختلفون في ذلك على قدر إدراكهم وعلى حسب

مايرونه من أحبتهم من نفار أو أنس أو فطنة أو بلادة." [1]

وأنا أعرف فتى وجارية كانا يتحابان، فأرادها في بعض وصلها على بعض مالا يجمل ، فقالت: والله لأشكونك في الملأ علانية ولأفضحنك فضيحة مستورة ، فلما كان بعد أيام حضرت الجارية مجلس بعض أكابر الملوك وأركان الدولة وأجل رجال الخلافة، وفيه ممن يتوقى أمره من النساء والخدم عدد كثير، وفي جملة الحاضرين ذلك الفتى، لأنه كان بسبب من الرئيس، وفي المجلس مغنيات غيرها فلما انتهى الغناء إليها سوت عودها واندفعت تغني بأبيات قديمة، **وهي:**

غزال قد حكى بدر التمام   كشمس قد تجلت في غمام

سبى قلبي بألحاظ مراض   وقد الغصن في حسن القوام

خضعت خضوع قلب مستكين   له وذللت ذلة مستهام

فصلني يافديتك في حلال   فما أهوى وصالا في حرام

١- طوق الحمامة لابن حزم .

بلاغة التعريض :

التعريض مبحث من المباحث البلاغية المهمة التي يعتمد عليها كثير من الكتاب في موضوعاتهم ، ومؤلفاتهم ، وهو فن بلاغي يحمل " ملمحاً ذكيًّا وإشارات من خلالها تصل الرسالة مبطّنة إلى الآخر المقصود منها، من دون أنْ تُقحِم صاحبها في فجاجة المُلاحاة وصرامة التقريع للخصم، فهي تمثل أسلوباً لطيفاً يعبّر عن دماثة مستعملها" [1].

١- د. وسام حسين ، موقع : الأدب العربي الأليكتروني.

بين التورية والكناية

الكناية لغة واصطلاحا :

- كنى عن كذ : تكلّم بما يُستدَلّ به عليه ولم يصرِّح.
- تعبير أُريد به غيرُ معناه الذي وُضِع له من جواز إرادة المعنى الأصليّ ؛ لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته ، وذلك لأغراض مختلفة منها الإيهام على السامعين أو نحو ذلك ، وقد يكون عن صفة أو موصوف أو نسبة صفة لموصوف :
- أمَّة الدولار:كناية عن أمريكا .
- الناطقون بالضاد : كناية عن العرب أو المتكلمين بالعربية .
- نظافة اليد : كناية عن الأمانة .
- تقولُ العربُ :فلانةٌ بعيدةُ مهوَى القُرط.

(مهوى القرط) هو المسافةُ من شحمة الأذن إلى الكتف وإذا كانت هذه المسافة بعيدة لزم أنْ يكون العنق طويلاً ، فكأن العربي بدل أنْ يقول :إن هذه المرأة طويلة الجيد أو العنق ، وقد عبر عن ذلك

بتعبير جديد يفيد اتصافها بهذه الصفة ، وهذا ما يسمى (الكناية).

تنقسمُ الكنايةِ باعتبارِ المكنّى عنه ثلاثةَ أقسامٍ هي:

✍ كناية عن صفة :

مثل قول الخنساء في أخيها صخر :

طويلُ النجادِ رفيعَ العمادِ كثيُر الرمادِ إذا ما شتا

- طويل النجاد : أي طويل حمالة السيف وهي دلالة على الطول والشجاعة .
- رفيع العماد : والعماد أساس الخيمة وعمودها والمراد عراقة الأصل ورفعة المكانة .
- كثير الرماد : أي كثير حرق الحطب ومايتبع ذلك من كثرة الطبخ والمراد : كثرة كرمه .

والخنساء تريد أنْ تدل بهذه الجمل المتتابعة على أن أخاها صخرا: شجاع ، عظيم في قومه ، جواد ، لكنها عدلت عن التصريح بهذه

الصفات إلى الإشارة إليها والكناية عنها ؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عـادة ، ثـم إنـه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون عظيم المكانة في قومه وعشـيرته بالإضـافة إلى كثرة الرماد ودلالته على الكرم الشديد .

✍ كناية عن موصوف:

مثل قول الشاعر:

الضَّاربين بكلِّ أبيضَ مخذَمٍ والطاعنينَ مجامع الأضغانِ

- أبيض مخدم : يراد به السيف .
- مجامع الأضعان : يراد بها : القلوب التي في الصدور.
- والسيوف ، والقلوب : موصوف وليست صفة .

✍ فالكناية هنا عن موصوف :

أي أن الشاعر في هذا المثال يطري ممدوحيـه ويصـفهم بـأنهم يطعنـون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بقوله السيف وعبر

عنه بالأبيض ، واستعاض عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو " مجامعُ الأضغان " ، لأنَّ القلوب تُفهم منه إذ هي مجتمع الحقد والبغض والحسد ، وهو مانطلق عليه (كناية عن موصوف).

كناية عن نسبة:

مثل قول الشاعر -

المجـد بـين ثوبيـكَ والكـرم مـلء برديـكَ

في هذا المثال : أراد المتحدث أن ينسب المجد والكرم إلى من يخاطبه ، فعدل عن نسبتهما إلى ما له اتصال به ، وهو الثوبان والبردانِ.

- وهذا مايطلق عليه (كنايةٌ عن نسبة).

وانظر إلى قول البحتري في المديح :

يَغضُّون فَضْلَ اللّحظِ من حَيثُ ما بدا لهم عَنْ مَهيبٍ، في الصّدورِ، محبَبِ

الشاعر في هذا البيت يكني عن إكبار الناس للممدوحِ وهيبتِهم إياه، بغضِّ الأبصارِ الذي هو في الحقيقة برهانٌ على الهيبة

والإجلالِ،وتظهرُ هذه الخاصةُ جليةً في الكناياتِ عن الصفةِ والنسبةِ.

الكنايــةُ مَظهــرٌ مــن مظــاهر البلاغــةِ، وغايــةٌ لا يصــل إليهــا إلاَّ من لطف طبعُه، وصفتْ قريحتُه، والسـرُّ في بلاغتهـا أنهـا في صـور كثـيرةٍ تعطيك الحقيقةَ، مصحوبةً بدليلها، والقضيةً وفي طيِّها برْهانها.

سر بلاغة الكناية :

أنهــا تضــعُ لــكَ المعــاني في صــورة المحسوســاتِ، ولا شــكَّ أنَ هــذه خاصــةُ الفنــون، فــإنَّ المصــورَ إذا رســم لــك صــورةً للأمــلِ أو لليأسِ، بهرَكَ وجعلكَ تـرى مـا كنـتَ تعجـزُ عـن التعبـير عنـه واضـحاً ملموساً، فمثلُ :

- كثيرِ الرمادِ في الكناية عن الكرمِ.
- ورسولُ الشرِّ، في الكنايةِ عن المزاح.

ومن خواص التعريض والكناية أنهما تتيحان لك أنْ تَشْفيَ غلَّتَـك مـنْ خصمِك منْ غيرِ أنْ تجعل له إليك سبيلاً، ودون أنْ تخدشَ وجهَ الأدب.

الفرق بين التورية والكناية

✍الكناية: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، نجد هذا المعنى في قول مَن يصف راعي إبل أو غنم.

ضعيف العصا بادي العروق ترى له   عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

يريد أنه مشفق على غنمه، لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة، فهو يتخير ما لَانَ من العصا فقوله: "ضعيف العصا"، لفظ أطلق ولم يرد به حقيقةَ معناه، وإنما أراد معنًى آخرَ، هو لازمه وتاليه في الوجود، وهو الرفق واللين.

✍العلاقة إذًا بين التورية والكناية واضحة، وهي أن كليهما لفظ له معنيان والمراد أحدهما، إلا أن الأمر في التورية على أن المعنيين يفهمان من اللفظ دون وساطة من أحدهما لفهم الآخر كما سبق أن أشرنا- أما في الكناية فإن المعنى الثاني يكون لازمًا للمعنى الأول، وردفًا له، فضعف العصا -في المثال السابق- يلزمه الرفق واللين.

- وفرق آخر يتصل بقرينة كل من الكناية والتورية: فإن قرينة الكناية

-كما سبق أن أشرنا في المجاز- ينبغي أن تكون ظاهرة لا خفاء فيها ولا غموض، وهذا واضح من المثال السابق بينما قرينة التورية شرطها أن تكون خفية غير ظاهرة.

ولدقة الفرق بين التورية والكناية ظن الخطيب القزويني أن **قول الحماسي :-**

فلما نأت عنا العشيرة كلها   أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة   ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

في البيت الثاني تورية في لفظ "الجفون". وتابعه في ذلك صاحب (بديع المعاني والألفاظ) دكتور عبد العظيم مطعني، فقال:

"التورية في لفظ الجفون؛ لأن له معنيين، قريب واضح وهو جفون العين، وبعيد خفي وهو جفون السيف، والمعنى البعيد هو المراد". والحق أن ما في البيتين ليسَا من التورية، بل هو من باب الكناية، فإن الجفون -التي هي جفون العين- كناية عن إغماض السيوف، لا أنه أراد جفون السيف فورَّى .

بين التورية والكذب

✍ التورية لغة: مصدر ورَّى الشيء يوريه تورية أخفاه وستره.

✍ وهي في الاصطلاح:

أن يتكلم المتكلم بكلام له معنى ظاهر متبادر للسامع، وله معنى آخر خفي. ومقصود المتكلم هو هذا المعنى الخفي، إلا أنه ورّاه وأخفاه بذلك المعنى الظاهر المتبادر. ويلجأ المتكلم عادة لهذا الأسلوب إذا كان لا يريد الإخبار بالحقيقة لسبب ما، ولا يرضى بالوقوع في الكذب.

من أمثلة ذلك" ما رأيت زيداً " فهذه الجملة تدل على معنى ظاهر متبادر وهو نفي رؤيتك لزيد، وتحمل معنى آخر خفياً وهو نفي أن تكون قد أصبت رِئة زيد، سألك أحد هل رأيت زيداً؟ وكنت قد رأيته إلا أنك لا تريد أن تخبر بذلك إما لخوفك على زيد من ذلك الشخص، وإما لسبب آخر، ولا ترضى لنفسك الوقوع في الكذب فتوري قائلاً :" ما رأيته " فيفهم السامع المعنى المتبادر وأنت تقصد المعنى الخفي.

والتوريــة في الأصــل غــير مذمومــة مــن الناحيــة الشــرعية إلاَّ إذا توصــل بهــا إلى إحقــاق باطــل أو إبطــال حــق أو نحــو ذلــك. أما الكذب فهو الإخبار بالشيء على خلاف الواقع.

وهو في الأصل محرم مذموم شرعاً وعـادة، ولا يجـوز الإقـدام عليـه إلا لضرورة لا يمكن دفعها بغيره.

وبهذا التعريف لكل من التورية والكذب، ومعرفة الحكم الشرعي لكل واحد منهما تعرف الفرق بينهما.

ذكر ابن القيم رحمه الله:"إن الحيل ثلاثة أنواع:

- نوع قربة وطاعة، وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى.
- ونوع جائز مباح لا حرج على فاعله، ولا على تاركه، وترجُّحُ فعله عـلى تركه أو عكس ذلك تابعٌ لمصلحته.
- ونــوع محــرم، ومخادعــة لله تعــالى ورســله، متضــمن لإســقاط ما أوجبه، وإبطال ما شرعه، وتحليل ما حرمه، وإنكار السلف والأئمـة وأهل الحديث إنما هو لهذا النوع..." [1].

١- إغاثة اللهفان ، ابن قيم الجوزية: ١/ ٣٨٤.

من نماذج التورية
في أدبنا العربي

قال شاعر:

وقالت رِح بربك من أمامي　　فقلتُ لها بربك أنتِ روحي

فالتورية في كلمة (روحي) وقرينتها رح ، ومعناها القريب اذهبي والمعنى البعيد نفسي.

أيها المعرض عنا حسبك الله تعالى

(تعالى) : لها معنيان الأول قريب وهو " تعاظم وعلا " ، وهو معنى غير مراد، والثاني بعيد " طلب الحضور " و هو المراد.

- **وقال الشيخ عز الدين الموصلي :**

لحظت في وجنتها شامة　　فابتسمت تعجب من حالي

قالت قفوا واستمعوا ما جرى　　قد هام عمي الشيخ في خالي

"ولم يـزل ابـن سـناء الملـك في بـاب التوريـة يتلاعـب باختراعاتـه ويسكنها العامر من أبياته إلى أن ظهر بعده السـراج فجلا غيابها بنور مشكاته ، وتعاصر هو وأبو الحسن الجزار والنصير الحمامي ، وتطارحوا كثيرًا وساعدتهم صنائعهم وألقابهم في نظم التورية ، حتى أنه قيـل للسـراج الوراق : لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك

فانشد يقول :

شعريتي منذ رمدت قد حبست طرفـي عـنكم فصـرت محبوسـا

الحمـــد لله زادنــــي شـــرفا كنـت سـراجا فصـرت فانوسـا

التورية في قوله (سراجا)

وقال :

وكنـت حبيبـا إلـى الغانيـات فأكسبني الشيب هجر الحبيب

وكنـت سراجا بليل الشـباب فأطفـأ نــوري نهــار المشــيب

التورية – أيضا – في قوله (سراجا)

وقال :

إلهي لقد جاوزت سبعين حجة　　فشكرا لنعماك التي ليس تكفر

وعمرت في الإسلام وازددت بهجة　　ونورا كذا يبدو السراج المعمر

التورية في قوله (السراج)

وقال متغزلا وموريا :

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت　　في قومها كمهاة بين آساد

بنت عليها المعالي من ذوائبها　　بيتا من الشعر لم يمدد بأوتاد

وأوقدت وجنتاها النار لا لقرى　　لكن لأفئدة منا وأكباد

فلو بدت لحسان الخصر قلن لها　　على الرؤوس وقلنا الفضل للبادي

- التورية في قوله : البادي ، من البدو أو من الظهور .

وقال الجزار الشاعر :

لا تعبني بصنعة القصاب　　فهي أزكى من عنبر الآداب

كان فضلي على الكلاب فمذ صرت أديبا رجوت فضل الكلاب

- التورية في قوله : الكلاب : الكلاب الحيوانات المعروفة أو الأعداء .

- **وقال موريا في رجل سمين :**

ألا قل للذي يسأل عن قومي وعن أهلي

قد تسأل عن قوم كرام الفرع والأصل

ترجيهم بنو كلب وتخشاهم بنو عجل

- التورية في قوله : بنو عجل : أي الرجل السمين ، أو العجل الحيوان المعروف .

- **وقال موريا عن مهنته الجزارة :**

إني لمن معشر سفك الدماء لهم دأب وسل عنهم إن رمت تصديقي

تضيء بالدم إشراقا عراصهم فكل أيامهم أيام تشريق

التورية في كلمة (تشريق) : من الإشراق ، أو أيام التشـــريق التـي مـن أيام الحج .

- وقال الوراق الشاعر :

ياخجلتي وصحائف سود غدت	وصـحائف الأبـرار فـي إشـراق
وتــوقفي لمــوبخ لـــي قائـــل	أكذا تكون صحائف الوراق؟

التوريــة في قولــه : صــحائف الــوراق : يــراد بهــا : الــوراق الشــاعر أو أوراق الصحف.

- قال الشاعر:

لـولا التطير بـالخلاف وأنهم	قـالوا: مـريض لا يعـود مريضـا
لقضيت نحبي في جنابك خدمة	لأكون «مندوبا» قضـى مفروضـا

التورية في قوله (مندوبا)

والمندوب : هو الميت أو أحد الأحكام الشرعية .

✍ وهذه طائفة أخرى من نماذج التورية التـي أثـرت عـن أدبـاء العصرـ المملوكي :

قال أبو الحسن الجزار موريا بصناعته:

إني لمن معشر سفك الدماء لهم دأب وسل عنهم إن رمت تصديقي

تضيء بالدم إشراقاً عراصهم فكل أيامهم أيام تشريق

ومن توريات جمال الدين بن نباتة في كلمة (راحة):

يا غائبين تعللنا لغيبتهم بطيب ولا والله لم يطب

ذكرت والكأس في كفى لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تعب

وعن طرائف التوريات ما خرج مخرج الجناس،قال ابن حجة :

(قد تقرر أن ركتي الجناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى لأنه نوع لفظي لا معنوي. وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع: والتورية من أعز أنواعه وأعلاها رتبة فإذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان في ركن واحد، وخلصت من عقادة الجناس).

✍ ومن جناس التورية :

قال بدر الدين الدماميني يصف ابن حجر العسقلاني:

حمى ابن علي حوزة المجد والعلى ومن رام أشتات المعالي وحازها

وكم مشكلات في البيان بفهمه تبينها من غير عجب ومازها

- مازها من ماز يميز أو بمعنى لم يدخله الزهو.

فأجابه ابن حجر بقوله:

بروحي بدراً في الندى ما أطاع من نهاه وقد حاز المعالي فزانها

يسائل أن ينهي عن الجود نفسه وها هو قد بر العفاة ومانها

ومانها، من مانه بمعنى كفاه ، أو مانها من النهى. [1]

وقال القائل موريا بالعلامة الشيخ / شمس الدين محمد الذهبي بعد وفاته :

١- مجلة الرسالة/العدد ٧٧٤/طرائف من العصر المملوكي.

مازلت بالسمع أهواكم ومـاذكرت أوصــافكم إلا ملــت مـن طربــي

وليس من عجب أن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مـالوا إلـى الذهبي[(١)]

قال بعض شعراء مصر وقد بلغ النيل ستة عشر ذراعاً على مقياس النيل بعد فيضان النيل فعم وادي الجيزة حتى وصل الهرم:

قالوا علا نيل مصر في زيادته

حتى لقد بلغ الأهرام حين طما

فقلت هذا عجيب في بلادكم

أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال الشاعر :

يــا ســاكنا قلبــي المعنــى و لــيس فيــه ســواك ثــاني

لأي شـــيء كســرت قلبــي ومــا التقــى فيــه ســاكنان

مثال :

عندما تزوج أحد الأعراب مع كبر سنه فقام أخوه بمداعبته قائلا:

١- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الجزء الأول ص ٥٢١.

تــزوج الشــيخ أخــي شــيخة لـــيس لهـــا عقـــل ولاذهـــن

وقائـــــل قـــــال وماســـــنها فقلـــت وهـــل لهـــا ســـن؟

وجـاء في كتـاب (رائـق التحليـة في فـائق التوريـة) الـذي هـو عبـارة عـن مجموعـة أبيـات شـعرية تتعلـق بالتوريـة،**نـذكر منهـا** :

- من التورية بذكر الأعلام من الفقهاء والقراء والأدباء .

يقول الشاعر محمد بن خاتمة (وهو من شعراء الأندلس):

من شافعي لي عند مالك مهجتي مـالي سوى حبـي وليس بنـافع

فمن المحقق أن مذهب مالك لا تستقيم لديـه حجـة شـافعي

الشاعر يعبر عن لوعته ، وعن حرمانه، وعن هجران حبيبه فهو يتمنى لو زالت الحواجز بينه وبين من يحب، ويرجو أن تصفو علاقته بـه، وأن يجد شفيعا لديه يزيل عنه أسباب الصدود، ويمحو عنه شقاء الفراق، ولكنه لا شفيع له إلا حبه وهذا الحبيب لا يقبل شفيعا كيفما كانت حجته، ولا يستجيب لتضرع راغب مهما حصل، فهو مالك

لمهجته، ومن المحقق أن مذهب مالك لا تستقيم لديه حجة شافعي ، والتورية في قوله : شافعي ، مالك :

والمعنى القريب : يقصد به الإمام الشافعي والإمام مالك عناصر أصولية بنيت عليها بعض الأحكام عند مالك والشافعي رضي الله عنهما، فلكل منهما منحى اجتهاد تقرر القواعد على أساسه، وتتخذ الأحكام وفق منهجه، وهو مالا يقصد إليه الشاعر .

أما المعنى البعيد فالمقصود بالشافعي : من الشفاعة وتلمس العذر ومالك : من التملك والسيطرة والاستحواذ ، وهو المعنى الذي يرمي إليه الشاعر .

- وقد استعمل الأسلوب نفسه في أبيات أخرى حيث قال:

دارست قلبي الصب أعتده عن عاصم لي منك أو نافع

فلم يكن يرفع ما حل بي ورب فعل ليس بالرافع

ضل بي المذهب يا مالكي　　فهل لذاك الوجه من شافعي؟

فهو هنا يبحث عن بعض الحلول التي يعجز بعض الناس عن الوصول إليها وفق مذهبهم، فيلتجئون إلى مذهب آخر عساهم أن يجدوا وجها يبرر لهم ما يريدون الوصول إليه.

ولا ريب أن التورية واضحة، ولم يقتصر في هذه الأبيات على التورية بالنسبة لمالك والشافعي، وإنما أضاف إلى ذلك تورية أخرى بعاصم ونافع، وهما من أئمة القراءات السبع.

ومن التورية المتعلقة بالأعلام قوله:

واللثغ في الطاء هاج الهوى　　فهو حبيب ليس بالطائي

لا تعجبوا إن مال قلبي له　　فشأنه إمالة الرائي

فهو هنا يستحسن لثغة في نطق من يهواه ويستلذها كما يستحسن منه إمالة الراء، وهاتان الصفتان تتعلق بالأصوات لكن الشاعر استغلهما استغلالاً أدبيًا، حيث استحضر أبي تمام وهو حبيب

الطائي المنسوب إلى قبيلة طيء على غير قياس إيهاما بأنه عند ذكر حبيبه غير الطائي ينصرف المعنى إلى القبلية، في حين أنه يقصد كونه لا يحسن النطق بالطاء، وكذلك الأمر يتعلق بإمالة الراء، فإن الإمالة تنصرف إلى هذا الحرف الذي يميله حبيبه، لكنه لا يقصد ذلك وإنما يقصد إمالة الناظرين إليه نظرا لما فيه من جاذبية الحسن والجمال.

ومن التورية ببعض المصطلحات العلمية والأدبية ما ورى به من مصطلحات علم العروض وهو قوله:

محياك عندي هلال سعيد	فكل زمان ترى فيه عيد
وخدك روض بديع الجمال	به كل فصل ربيع جديد
وقدك للقلب ريحانة	يميد إليها إذا ما ميد
فزد كل يوم جمالا وحسنا	ولي كل يوم غرام يزيد

خضوع طويل ودمع سريع   وخد بسيط وشجو مديد

فهو هنا ورَّى بأسماء الأبحر، وأخضعها لحالات ذاتية لا يحس بها ولا يعرف أسبابها وبواعثها، إلا من أسرهم العشق وملكهم سلطان الغرام.

ولقد وفق الشاعر في الربط بين أسماء بحور الشعر : الطويل والبسيط والمديد والسريع وبين المعاني التي يقصدها، فجاء شعره هذا مبينا هيامه، ومبرزا آلامه، فهو عاشق محروم، لا يجد سبيلا إلى إطفاء لوعة حبه إلا بالخضوع الطويل، والبكاء السريع والخد البسيط، والشجو المديد، ولولا جمعه هذه الصفات في نسق واحد لما كانت التورية واضحة.

ويعرف هذا النوع بالتورية المهيأة، بحيث لو اقتصر على وصف واحد من هذه الأوصاف لماعرفنا أن الشاعر يهدف إلى استعمال التورية في كلامه.

ومــن ذلــك مــا ورى بــه مــن مصــطلحات علــم القــوافي وهو قوله:

له جيش نصر قد نضا السعد دونه صـــوارم روع لا تقيهـــا الفـــوارس

إذا ما قوافي الخيل فيه تداركت فأبشر بنصر بحره متكاوس

فالتوريـــة هنـــا بالمتـــدارك (البحـــر الشـــعري) ، وهـــو كضـــرب مـــن القافيـــة، يجتمـــع منهـــا متحركـــان بعـــدهما ســـاكن، والمتكـــاوس هو ضرب تجتمع فيه أربع حركات بعدهما ساكن، ولم يقصدها الشاعر، وإنما قصد معناهما اللغوي، ويريد بذلك، أن جيوشه مهما تعدد توجيهها للأعـداء فإن النصر حليف لها في كل حين [(١)] .

وفي مثال آخر :

- قال الشيخ عز الدين الموصلي :

١- راجع مجلـة " دعوة الحق" العدد ٢٩٤ نـوفمبر١٩٩٢م ، مقـال:"من مخطوطـات جامعـة القرويين بفاس كتاب : "رائق التحلية في فائق التورية، محمد بن عبد العزيز الدباغ .

في الجانب الأيمن من خدها　　نقطـة مسـك أشـتهي شـمها

حســبته لمــا بــدا خالهــا　　وجدتــه مــن حســنه عمهــا

التوريـة في كلمتـي : خالهـا وعمهـا ،العـم والخـال :مـن أولي القربـى المعروفين ، هذا المعنى القريب المتبادر إلى الذهن وهو غير مطلوب.

خالها : أي النقطة السوداء التي على الخد وهـي مـن علامـات الحسـن، وهذا المعنى بعيد وهو مطلوب.

عمها : أي شملها ، وهو المعنى البعيد المطلوب .

- وقال ابن سناء الملك :

أمـا والله لـولا خـوف سـخطك　　لهـان علـيَّ مـا ألقـى برهطـك

ملكت الخـافقين فهمـت عجبـا　　ولـيس همـا سـوى قلبـي وقرطـك

- التورية في قوله : الخافقيْن .
- معناها القريب : الشرق والغرب ، وهو غير مطلوب
- ومعناها البعيد : المهتزان المضطربان من خفت : أي اهتز

- واضطرب، وهو المعنى المقصود الذي يرمي إليه الشاعر .

- وقال أيضا :

وفي الحي من صيَّرتها نصب ناظري ... فما أذنت في نازل الشوق بالرفع

تتيه بفرع منه أصل بليتي ... ولم أر أصلا قط يعزى إلى الفرع

- التورية في كلمة (الفرع)

- المعنى القريب : العشيرة التي تنتمي إليها وهو غير مراد.

- والفرع : أي : الشَّعر الطويل المنسدل ، كأنه فرع شجرة سامقة وهو المعنى البعيد وهو المراد .

وكان ابن سناء الملك صيرفيا يعرف كيف يصوغ التورية ويأتي بها في موضعها المناسب ، واتخذ من البديع وسيلة ينمق بها شعره ، ويزين بها نظمه حتى تميز بين الشعراء من معاصريه ، وسار على دربه من بعده السراج الشاعر فعرف بولعه بالتورية هو الآخر وبرز من بعدهما : أبو الحسن الجزار ، والنصير الحمامي ، وتطارحوا الشعر كثيرًا

وساعدتهم في ذلك صنائعهم وألقابهم في نظم التورية وبلغوا بها شأوا بعيدًا .

– قيل للسراج الوراق : لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك ، **فأنشد يقول :**

شعريتي من رمدت قد حبست طرفي عنكم فصرت محبوسا

الحمد لله زادني شرفا كنت سراجا فصرت فانوسا

التورية في كلمة (سراجا) : المصباح وهو المعنى القريب وغير مقصود ، والسراج الشاعر ، وهو المعنى الآخر المقصود .

- ومن توريات السراج الوراق اللطيفة قوله :

وكنت حبيبا إلى الغانيات فأكسبني الشيب هجر الحبيب

كنت سراجا بليل الشباب فأطفأ نوري نهار المشيب

والتورية كذلك في كلمة (سراجا)

- **وقال :**

إلهي لقد جاوزت سبعين حجة　　فشكرا لنعماك التي ليس تكفر

وعمرت في الإسلام وازددت بهجة　　ونورا كذا يبدو السراج المعمر[1]

والتورية – أيضا- هنا في قوله (السراج).

ومن شواهد التورية :

قال أبو الفضل الشاذلي :

ذكرك لي في اللوم مستحسن　　واللوم عندي غير مستحسن

كم قلت للمعرب في لومه　　إن جئت نحوي قط لا تلْحَني

التورية – في هذا الشاهد – في قوله (لاتلحني) :

معناها القريب: (عدم اللحن في الكلام) وهو معنى واضح ظاهر متبادر إلى الذهن وغير مطلوب.

والمعنى البعيد (اللوم والعتاب)، وهو المراد .

١- كشف اللثام لابن حجة، ص ٥٧ وما بعدها.

- **قال بدرالدين الصاحب :**

جفنـــي عليـــك ســـاهر بحرقـــة قـــد ذقتهـــا

ودمعتـــــي جاريـــــة إن زرتنـــــي عتقتهـــا

المعنى القريب في قوله (عتقتهـا) يـبرزه الشـاعر حـين يتحـدث عـن معاناته ، وأنه لم يذق للنوم طعما ، وقد تقرحت جفونه من كثرة بكائه ارتقابـا لعودة محبوبه الذي إن زاره وواصل لقاءه أطلق دموعـه فرحـا ، ولـيس هـذا المعنى مطلوبا لقربه .

والشاعر يريد بقوله (عتقتهـا) حبسـتها بقرينـة (إن زرتنـي) ليكـون المعنى بذلك : أن دمعتي جارية فمتى زرتني حبستها .

✍ ومن جميل التورية

- **قول برهان الدين القيراطي :**

يـامن تبرمـك صـبه فـي عشـقه بـالروح لاتبخـل فعشـقي زائـد

بالفضــل جــد لــي إن دمعــي جعفـــــــــــــــر والوجـد يحيـى والتشـوق خالـد

التورية في الكلمات (الفضل وجعفر ويحيى وخالد) أراد بها : أسرة البرامكة ، وهو المعنى القريب وليس مطلوبا .

والمعنى البعيد : دمعي جعفر :أي دمعي نهر (جعفر اسم من أسماء النهر)

ويحيى:من الفعل أحيا ،وخالد :من الخلود، وهو المطلوب [1] .

وقال الشاعر في امرأة جميلة قامت تسحر الناس في رمضان، فأنشد يقول:

عجبت في رمضان من مسحرة بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت

قامت تسحرنا ليلا فقلت لها كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت؟

التورية في قوله : الشمس

✍ومن جميل التورية

يروى أن سقراط الفيلسوف اليوناني المشهور حكم عليه بالإعدام

١- مجلة الأستاذ ، العدد ٢١٢ ، المجلد الأول ٢٠١٥م ، العراق.

وأودع في السجن انتظارا لتنفيذ العقوبة ، وبينما هـو جـالس في حديقـة السجن ، مستمتعا بأشعة الشمس ، وكان ذلك في فصل الشتاء ، وبينما حاكم المدينة يتفقد السجن رأى سقراط ، فذهب إليه ووقـف خلفـه وحجـب عنـه أشعة الشمس ؛ فالتفت سقراط فرأى الحاكم خلفه ، فقال له الحاكم :

- ماذا تتمنى الأن أيها الفيلسوف ؟

فرد سقراط قائلا:

- أتمنى ألا أعيش في ظلك ساعة !!!!

التورية هنا في قوله : في ظلك .

نماذج التورية
من العصر الحديث

✍ **نذكر النماذج التالية :**

روي عن الأستاذ الفاضل على الجارم الشاعر وكان يعمل مفتشا للغة العربية ، روي أنه كان في زيارة لإحدى المدارس الثانوية وتصادف أثناء الزيارة أن نشب خلاف بين معلمتين ، وتطور الخلاف إلى عراك وارتفع صوت كل منهما وتجمعت المعلمات وتدخل المصلحون حتى انفض العراك ، وأحضرت المعلمتان إلى مكتب مديرة المدرسة للتحقيق معهما ، وقالت المديرة للأستاذ على الجارم :

تول أنت التحقيق معهما (لكونهما معلمتي لغة عربية) ، فقال الأستاذ على الجارم لإحداهما : قولي لنا ماذا حدث ؟ فأخذت تروي وتقص حتى انتهت من كلامها ، فسكت الأستاذ على الجارم قليلا ثم علق قائلا: أنت مصيبة ! وطلب من المعلمة الثانية أن تروي هي الأخرى ماحدث مع زميلتها فلما قصت وانتهت من كلامها علق

الأستاذ قائلا : وأنت أيضا مصيبة ! ثم أردف قائلا لهما : أنتما مصيبتان !
ثم ترك المكان وانصرف بين ذهول الموجودين جميعا من تعليق الشاعر وقد
فهم الجميع مايقصد من تعليقه .

ومما يروى عن كوكب الشرق السيدة أم كلثوم أنها كانت
في زيارة لدار الكتب ، وبينما هي تصعد درجات السلم ،إذا بها تشاهد
الشاعرالكبير أحمد رامي خارجا من المكتبة ، وبينما هو يهم بنزول أولى
درجات الدرج توقف عندما رأي أم كلثوم ، فقالت له " ما تنزل ياأستاذ " (
وتروي المصادر أنه كان يحب أم كلثوم) فرد عليها قائلا: " (أنزل ازاي
وروحي طالعة) !

- ومما يروى عن أم كلثوم– أيضا - أنه كان لها جار(طفيلي)
أي باللغة الدارجة(حِشري) ، وكان هذا الجار كلما جاء وفد من الصحافة
أو من التليفزيون للتسجيل معها كان يسارع بالدخول إلى الفيلا ويندس بين
الزائرين من الصحافة أو التليفزيون ، حتى ضاقت أم كلثوم بما يفعل هذا
الجار ، وأرادت أن تلقنه درسا وفي إحدى المرات حضر كعادته بدون دعوة ،
فقالت أم كلثوم له تعال أعرفك بالضيوف ،

هذا أستاذ فلان ، وهـذا أسـتاذ فـلان وسـكتت فقـالوا لهـا لم تعرفينـا بالأستاذ " فقالت : نسيت أقـول لكـم هـذا جارثومـة " ! فخـزي الرجـل وانصرف بعد أن فهم التورية .

جـــرى بـــين الشـــاعرين عبـــد الله البســـتاني ومعـــروف الرصـــافي وكانا قد جلسا واحتسى كـل مـنهما شـيئاً مـن القهـوة ، **فقـال عبـد الله البستاني:**

إنـي لأ شربها علـى ذكر امرئ هو بالفصاحة والنهى موصوف

وأجابه معـروف الرصـافي بهـذين البيتـين، اختلفـا في القافيـة وتلاقيـا بالأسلوب والمقصد:

والتورية في قوله : معروف ، وفي قوله : عبد الله

ومن قبيل ذلك ما جرى بين الشاعر الساخر الضـاحك محمـود غنـيم وصـديقه الشـاعر محمـود الخفيـف، عنـدما دعـاه هـذا إلى بيتـه وتلكّـأ في تقديم الطعام ، **فخاطبه محمود غنيم قائلاً** :

والتوريــة في قولــه : الخفيــف : يقصــد بهــا : الشــاي الخفيــف أو الشاعر محمود الخفيف.

حدثت مناوشة شعرية بين الكاتب السياسي العراقي فهمـي المـدرس والشــاعر جميــل صــدقي الزهــاوي عنــدما دعــي الاثنــان مع غيرهما من الأدباء لزيارة الملك فيصل الأوّل رحمه الله ملك العراق، وتولى فهمي المدرس تنظيم الجلسة ولم يحسن اختيار المقعد الملائم القريب من الملك لزميله الشاعر، وكان الزهاوي ممّن يحب التقرّب للملك فأغاظـه ذلـك، فلـما خرج قال لأصحابه هذين البيتين اللذين غمز بهما قناة صديقه الأديب فهمـي المدرس، **يقول فيهما:**

سمع بذلك المدرس فردّ عليه فورا:

والتورية في قوله : فهمي

الشــاعر محمــد إمــام العبــدوهو مــن الشــعراء المجيــدين المطبــوعين على المرح ، قال له الشاعر خليل مطران ذات يوم :

لماذا لا تتزوج ؟

فأجاب على البديهة :

ذات يوم دخل الشاعر محمد إمام العبد مجلسَ الشاعر محمود سامي البارودي ، وكان للبارودي جِلسة بعد عصر كل يوم يرتادها الأدباء الوجهاء بعد أن أفرج عنه ، وعاد من المنفى ، فقالوا له :هذا محمد إمام العبد قد أقبل ، وكان البارودي في أواخر حياته قد كف بصره **فقال مداعباً لإمام العبد** :

فأجابه محمد إمام العبد على البديهة:

أنا لا أرد عليك ، ولكن يردعليك أبوالطيب المتنبي في نفس البيت الذي يلي البيت الذي أوردته ؛ ففزع الحاضرون إلى مكتبة الشاعر محمود سامي البارودي ، يتصفحون القصيدة التي استشهد بها الشاعر البارودي ببيت منها، وإذا بالبيت الذي بعده يقول:

✍ القيمة الفنية للتورية:

- تبرز حقيقة التورية في كونها موجودة في لفظ واحد يشترك فيه معنيان : أحدهما قريب ، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، وهذا لايعني " أن كل لفظ مشترك بين

معنيين تتصورفيه التورية ، وإنما تتصور التورية حيث يكون المعنيان ظاهرين إلا أن أحد المعنيين أسبق إلى الفهم من الآخر " [1].

- التورية وسيلة من وسائل التعبير الفني التي يستعين بها الشاعر أو الكاتب في التعبير عما يريد من غير أن يعرفه الناس أو يكشف عن أمره ، حينما لايريد الإفصاح عن مقصوده ، كما تمكنه التورية " من إخفاء المعاني التي يخشى التصريح بها فيورِّى بمعان تفهم من لفظ التورية ، وبهذا يدفع المحذور مع الصدق " [2].

- والتورية فن بديعي له خصائص إبداعية بعيدة المدى لايفطن إليها ولايدركها الإنسان العادي ، إنما تحتاج إلى التأمل والروية لكونها تجمع بين معنيين مختلفين ، وهذا يمنحها القدرة على تلوين المضمون بظلال مبتكرة فتضفي على المعنى جمالا وتزيده قوة وتألقا يضاف إلى ذلك ماتحمل التورية في طياتها "من المفاجأة والإثارة،

١- زهر الربيع في شواهد البديع ، ناصر الدين محمد بن قرقماس ، ١٦٣.
٢- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، لابن القيم الجوزية ، ص ٢٠١.

وفيها مافيها من الحرية في التعبير حيال ضغط الرقيب ، وفيها من الطرافة والرشاقة وروح الفكاهة ،وبراعة الفن " [1]

- وفي التورية ثراء للمعنى ، وسعة في تناول المضمون ، فهي لا تخلو من " تفنن في الكلام ، واتساع فيه ، وتدل على تصريف بالغ وقوة على تصريف الألفاظ واقتدار على المعاني " [2].

- والغاية من التورية التأثير في السامع أو المتلقي عن طريق دلالة اللفظة المعبرة ؛ لأنها " تعمل على شحذ الذهن ، وإثارة العقول بحثا عن المعاني ، وإدراك أبعادها لتحديد اللفظ الذي يدل على المعنى الموجود" [3]وهذا من شأنه أن يكشف عن القيمة الجمالية الحقيقية لهذا الفن.

- ويتمثل جمال التورية بشكل واضح في ماتحمل من عمق الخيال المنتج لها ، وماتحمل من دلالات ومافيها من تجلية للمعنى المراد ، وتقريبه من ذهن المتلقي فتثير خياله .

١- فن البديع ، د/ منير سلطان ، ص ١٩٥
٢- الطراز للعلوي ، ص ٤٢٨.
٣- الوافي في تيسير البلاغة ، د/ حمدي الشيخ ، ص٦١.

النتائج التي توصل إليها البحث

توصلت الدراسة إلى مايلي :

- التورية لفظ يذكر وله معنيان : قريب ظاهر غير مراد ، وبعيد خفي مراد .

- للتورية ركنان أساسيان هما : المورّى به وهو المعنى القريب والمورّى عنه وهو المعنى البعيد ، وهو المعنى المراد ، وعلى هذا الأساس قسم البلاغيون التورية إلى أربعة أقسام : مجردة ومرشحة ، ومبينة ، ومهيأة

- عرفت التورية في العصور القديمة ، وكانت تأتي في الشعر والنثر عفو الخاطر غير متكلفة ولامقصودة ، ولم يكن القدماء يعنون بها أما المتأخرون فقدعنوا بها عناية كبيرة ، وصاروا يقصدون إليها قصدا ومنهم من أولع بها وأسرف في استخدامها .

- شاعت التورية في العصر المملوكي وبرع الشعراء في صياغتها وتمكنوا من الإتيان بها في ثنايا قصائدهم ، كما رأينا في شعر السراج الوراق وأبي الحسن الجزار ، والنصير الحمامي وابن سناء الملك.

وظل الاهتمام بالبديع ومنه التورية في عصور الضعف اللغوي حين أولى الشعراء و الأدباء عنايتهم بالصنعة الشكلية في الكلام فأكثروا من البديع وأوغلوا فيه متوهمين أن ما يفعلونه ضرورة لتزيين الأسلوب وتجميله.

- سر جمال التورية يرجع إلى ماتتضمن من التلطف والخفاء ووصول الأديب إلى غايته ، كما أنها تحدث حركة ذهنية بارعة ينتقل فيها الذهن من المعنى القريب إلى المعنى البعيد وهذا من شأنه أن يعطي المعنى حيوية فيؤثر في السامع ويرقى بالنص إلى درجة التميز والجمال .
- يتحقق جمال التورية إذا كانت استجابة لموقف يستلزمها أو كانت غير متكلفة ، ولم تكن مجرد لعب بالألفاظ دون فائدة في أداء الفكرة والتعبير عن المشاعر .
- في التورية إظهار لقدرة الشاعر أوالكاتب ، ودليل على مدى تمكنه وقدرته وخبرته في استغلال ثراء اللغة وماتحمل مفرداتها في طياتها من دلالات وإيحاءات .

المصادر والمراجع

١. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها / عبد الرحمن حبنكة الميداني.

٢. البلاغة الواضحة: علي الجارم ومصطفى أمين.

٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، مراجعة وضبط وتحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م.

٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثيرالجزري، تحقيق: كامل محمد محمد عويضة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨م.

٥. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، شمس الدين بن محمد الشهير بابن الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط٢ ١٩٨٨م.

٦. المزهر للسيوطي ج١.

٧. المشترك اللفظي نظريا وتطبيقـا، دكتـور توفيـق محمـد شـاهين الطبعـة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٠م .

٨. الوافي في تيسير البلاغة ، د/ حمدي الشيخ ، المكتب الجـامعي الحـديث ، الإسكندرية ٢٠٠٤ م .

٩. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثـر والبيـان وإعجـاز القـرآن زكـي الدين عبد العظيم بن عبـد الواحـد المعـروف بـأبي الاصـبع المصريـ ي ، تحقيق د/ حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة القاهرة .

١٠. بدائع الزهور في وقائع الدهور ، محمد بـن أحمـد بـن إيـاس الحنفـي، تحقيق : محمد مصطفى ، الجزء الأول.

١١. زهر الربيع في شواهد البديع ، ناصر الدين محمد بن قرقماس تحقيـق : د/ مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ٢٠٠٧م.

١٢. سر الصناعتين لأبي هلال العسكري.

١٣. شرح الكافيةالبديعيــة ، صــفي الــدين الحــلي بـــن عبــد العزيــز بن سرايا السنبسـي ، تحقيق : د/ نسيب نشادي ، دار صـادر بـيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٤. طوق الحمامة لابن حزم.

١٥. ظاهرة التورية في شعر العصرـ المملـوكي وأثرهـا في تعميـق المعنـى ، للكتور / حسين عبد العال اللهيبي.

١٦. علم البديع دكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية.

١٧. فن البديع ، د/ منير سلطان ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٨٦م .

١٨. كشــف اللثــام عــن وجــه التوريــة والاســتخدام ، تقــي الــدين أبـو بكـر بـن حجـة الحمـوي ، تحقيـق : د / محمـد نـاجي بـن عمـر دار الكتاب العلمي ، بيروت ١٩٧١م .

١٩. مجلة الأستاذ ، العدد ٢١٢ المجلد الأول ٢٠١٥ م ، العراق .

٢٠. مجلة الرسالة/ العدد ٧٧٤/ طرائف من العصر المملوكي.

٢١. مجلة " دعوة الحق"" العدد ٢٩٤ نوفمبر١٩٩٢م مقال: "من مخطوطات جامعة القرويين بفاس كتاب "رائق التحلية في فائق التورية"محمد بن عبد العزيز الدباغ.

٢٢. معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية لعبدالحليم محمد قنبس.

٢٣. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ٢٠٠٠م .

٢٤. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: د/ علي بوملحم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ٢٠٠٤م .



المؤلف

دكتور / نعمان عبد السميع متولي

دكتوراه في الأدب العربي

صدر للمؤلف :

١- البلاغة المعاصرة

٢- النحو المعاصر

٣- التناص اللغوي

٤- الانزياح اللغوي

٥- المفارقة اللغوية

٦- المقاربة النصية

٧- ثنائية البلاغة والأسلوب

٨- مكونات الجملة والأسلوب

٩- في مدارات النقد الأدبي

١٠- إيقاع الشعر العربي

١١ - الأساس في قواعد الإملاء

١٢ - صلاح جاهين شيخ الزجالين

١٣ - القراءة والتلقي

١٤ - موسوعة الشعر العربي (٦أجزاء)

١٥ - موسوعة الخط العربي (٣ أجزاء)

١٦ - المرشد المعاصر إلى طرائق التدريس

١٧ - معالم النص الإليكتروني

١٨ - متفرقات في النحو

١٩ - الخطاب الشعري

٢٠ - الأساس في الضبط والإعراب

٢١ - الأمثال العربية بين الفصحى والعامية

٢٢ - سبحات الفكر (ديوان شعر)

٢٣ - تجليات التجربة الشعرية

٢٤ - قليل من البوح (ديوان شعر)

٢٥ - روائع الحصاد من لغة الضاد

٢٦ - البارودي شاعر البطولة والأصالة

٢٧- المنهج الدراسي (معناه – إعداده وصياغته – تطويره)

٢٨- التشكيل الدرامي في الأدب العربي

٢٩- أصول التربية في القرآن الكريم

٣٠- قبس من الذكريات